مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (٣) العدد (٩) – مارس ٢٠٢٤م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: ٢٨١٢-١٤٥x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: ٢٨١٢- ٥٤٢٨
الموقع الإلكتروني: https://jlais.jourals.ekb.eng

توظيف المفاهيم النصية في توجيه النص القرآني
عند النحاة المفسرين

د. إيهاب همَّام الشِّيوِي
أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد
قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الوادي الجديد

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (3) Issue (9)- march2024
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

توظيف المفاهيم النصية في توجيه النص القرآني
عند النحاة المفسرين

د. إيهاب همَّام الشّيوِي
أستاذ النحو والصرف والعروَض المساعد
قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الوادي الجديد

مستخلص:

هذه دراسة لبعض ظواهر النظم القرآني وتوجيهها على أساس المفاهيم النصية عند المفسرين من النحاة، وهي مصنفة –تبعا للاستقراء الناقص لكل من شواهدها القرآنية ومقولاتهم التفسيرية– إلى ظواهر خاصة بروابط البنية التركيبية، كـ «المزاوجة بين الوصل اللفظي والوصل المعنوي، وغياب المطابقة بين روابط الإحالة ومراجعها، واتحاد دلالاتها مع اختلاف صورها»، وظواهر مرتبطة بأفعال الكلام، كـ «تعاطف الخبر والإنشاء، ووقوع الخبر بمعنى الإنشاء»، ثم ظواهر البنية الدلالية للخطاب القرآني، كـ «إعادة ترتيب أبنيته الظاهرة، وتوجيه دلالاتها العميقة توجيها أيديولوجيًّا».

وتتكوَّن الدراسة من مقدمة، وخاتمة، وفهارس، ومبحثين، أولهما، المفاهيم النصية بين الاصطلاح والإجراء. وثانيهما، دور المفاهيم النصية في توجيه النص القرآني.

وقد انتهت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- زاوج النحاة المفسرون بين معطيات الجملة، ومعطيات التحليل النصي في توجيه النص القرآني تركيبا ودلالةً.

٢- تعدَّدت اتجاهات تحليل الخطاب القرآني عند النحاة لوعيهم بالمفاهيم النصية، والوظيفة التداولية الأدائية للغته المعجزة في إنجاز الغايات والمقاصد.

٣- استطاع النحاة أن يطلعونا على خصوصية البنية الإحالية في النظم القرآني.

٤- تأثر النحاة بمذهبهم الفكري والعقدي في رد المتشابه إلى المحكَم من آيات القرآن الكريم، حتى ولو أدى ذلك إلى تحميلهم التراكيب أكثر ممَّا تحتمل.

٥- كتب معاني القرآن وإعرابه، والتفاسير المتنوعة في تراثنا نواة لدراسات نصية حول القرآن ذات اتجاهات فكرية عديدة، ومداخل تحليلية ثرية.

▪ **كلمات مفتاحية:** المفاهيم النصية، النص القرآني، التداولية، القَصديَّة، أيديولوجيا

ABSTRACT:

THE GRAMMARIANS EXPLAINERS' EMPLOYING TEXTUAL CONCEPTS IN GUIDANCE THE QUR'ANIC TEXT

By Dr. Ehab Hammam Elshewy
Associate Professor of Grammar, Morphology and Prosody

Arabic language department - Faculty of Arts
New Valley University

eh.elshewy@art.nvu.edu.eg

This study presents some phenomena of the Qur'anic structure and Explanatory grammarians' guidance to them based on textual concepts. It is classified - according to the incomplete extrapolation of its Qur'anic evidence and explanatory phrases- into three sections:

1- phenomena of the structural connections, such as the pairing between the verbal connection and the syntactic connection, non-conformance in the referral, and union of its semantics with its different forms.
2- phenomena of the speech acts, such as conjunction of statement sentence and declarative sentence and the statement sentence that means the declaration.

3- phenomena of the semantic structure in the Qur'anic discourse, such as rearranging its surface structure and guidance its deep structure ideologically.

The study consisted of Introduction, conclusion and two sections, **The first:** Textual concepts between the term and the procedure. **The second:** The role of textual concepts in guidance the Quranic text.

The most prominent results of the research include:

1- The grammarian explainers paired Sentence grammar with the data of text analysis in guidance the meaning of the Qur'anic discourse.

2- The directions of the Qur'anic discourse analysis at the grammarian varied because of their awareness of the textual concepts, and the pragmatic function of its miraculous language.

3- The grammarians were able to point us to the importance of reference in the Qur'anic discourse.

4- The grammarians were influenced by their Mu'tazilite doctrine in referring the similar to the arbitrator from the verses of the Noble Qur'an.

5- The books about the meanings of the Qur'an, its syntax, and the various interpretations in our heritage are the nucleus of textual studies on the Qur'an with many intellectual directions and rich analytical approaches.

- **Key words**: textual concepts, Qur'anic text, pragmatism, Intentionality, Ideology.

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أكمل الله به الدين، وختم به الرسالات، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

ألّف كثير من النحاة في تفسير معاني القرآن وإعرابه، كالكسائي، والأخفش، والفراء، والزجاج، والنحاس، وعبد القاهر الجرجاني، والعكبري، والزمخشري، وأبو حيان الأندلسي، ... وغيرهم. وكان الجامع بينهم الارتكاز على مداخل لغوية ونحوية في تأويل ما يشكل من المعاني والألفاظ، فعلم النَّحو في تلك الدراسات علم "آلي" يتداخل مع مجالات أخرى، كالقراءات القرآنية، والأصوات، والأبنية الصرفية، والدلالات السياقية.

وتعدُّ كتب "معاني القرآن وإعرابه" نواة لعلوم التفسير، ومنهجها في الدرس النحوي القرآني أقرب إلى طبيعة كتب "غريب القرآن" في انتقاء ما يُشْكِل فهمه على القارئ من معاني الألفاظ في بعض الآيات. وفي اعتقادي أن أهميتها صادرة عن تطبيق المفسرين من النحاة مبدأ تكامل منهج «تحليل الجملة» بوصفها أصغر وحدة

معيارية لتحقيق الفائدة والصحة النحوية للكلام، مع منهج «تحليل النص» بوصفه بنية دلالية كبرى مكونة من بنيات صغرى متلاحمة، كالبنيات الإحالية، والتركيبية، والزمنية، والمفهومية.

وقد اشتملت معظم الدراسات النحوية القرآنية على مقولات تفسيرية تقف على محك علمي واحد مع المقولات النصية للسانيات الخطاب وتداولياته؛ لذلك كانت مقاربة المفاهيم في تحليل الجملة والنص من الأهمية بمكان في معرفة الالتقاءات والافتراقات الفكرية بين تراثنا اللغوي والنظريات اللسانية الحديثة، فكثير من مفاهيم النحاة القدامى في دراسات الجملة لا تختلف كثيرا عمَّا اتَّبعه المحدثون في دراسات النص وتحليل الخطاب، وإن بدا اختلاف القبيلين في طريقة التناول والتوسُّع في إجراءات تطبيقها؛ تبعا لتنوع المناهج وتعدُّد غاياتها.

▪ **مشكلة الدراسة:** صعوبة الفصل التام بين معطيات نحو الجملة ومعطيات تحليل النص في الدراسات النحوية القرآنية؛ لذلك وجدت حلها في دراسة إجراءات توظيف النحاة المفسرين المفاهيم النصية عند بيان خصائص النظم القرآني، وتوجيه بنيته الدلالية الكبرى في حال عجز معطيات الجملة عن الوفاء بذلك.

▪ **أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة إلى اختبار عدَّة فروض علميَّة هي:

١- علاقة المفاهيم النصية عند النحاة المفسرين بالاصطلاح والإجراء.

٢- تكامل معطيات الجملة ومعطيات النص في تفسير القرآن الكريم.

٣- توظيف المفاهيم النصية في توجيه روابط البنية التركيبية للخطاب القرآني.

٤- توظيف المفاهيم النصية في توجيه أفعال الكلام في الخطاب القرآني.

٥- توظيف المفاهيم النصية في توجيه البنية الدلالية للخطاب القرآني.

٦- أثر المعتقد والمذهب الفكري عند النحاة المفسرين في توجيه دلالة الخطاب القرآني توجيها أيديولوجيًّا.

▪ **منهج الدراسة: الاستقراء الناقص** لبعض الظواهر النصية في النظم القرآني، ثم **تحليل** شواهدها القرآنية ومقولاتها التفسيرية عند النحاة المفسرين في ضوء المفاهيم النصية للنظريات اللسانية الحديثة.

▪ **الدراسات السابقة:** لم أقف -في حدود علمي- على دراسة تناولت توظيف المفاهيم النصية في توجيه النص القرآني عند النحاة المفسرين، ومع ذلك حملت بعض الأبحاث عناوين مشابهة لعنوان بحثي، ومن أهمها:

١- **في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم- دراسة نظرية**، للباحثتين: بشرى حمدي البستاني، وسن عبد الغني المختار. بحث منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١١، العدد ١، عام ٢٠١١م.

وضع البحث إطارا نظريًّا لمفهوم النص في الدراسات الأدبية والقرآنية، ولبعض المعايير النصية المقترحة للحكم على نصية القرآن الكريم. ورغم ذلك، فإنه جاء خلوا من التطبيق على الآيات أو السور.

٢- **أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري- الكشاف أنموذجا**، للباحثة سارة قندوز. رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحيى، الجزائر، عام ٢٠٢٢م.

تناولت الدراسة **أنماط السياق** البلاغية والنحوية واللغوية لدى الزمخشري، **وأنماط الدلالة**، كدلالات الإشارة، والإيماء، والاقتضاء، ثم **تضافر النحو والدلالة** في خدمة السياق القرآني.

▪ **مكونات الدراسة:**

- **المقدمة:**

- **المبحث الأول: المفاهيم النصية بين الاصطلاح والإجراء.**

عرض مفاهيم «التماسك النصي، والقصدية، والتناص، ومقامية الخطاب، وبنية

الخطاب الكبرى، وتداولية الخطاب» مدعومة بالشواهد القرآنية، والمقولات التفسيرية عند المفسرين من النحاة.

- **المبحث الثاني: دور المفاهيم النصية في توجيه النص القرآني.**

تناول تحليل بعض الظواهر النصية في الخطاب القرآني، كأفعال الكلام، وروابط البنية التركيبية، والبنية الدلالية، ثم توجيهات النحاة لها على أساس المفاهيم النصية والمذهب الفكري.

- **الخاتمة والفهرس.**

هذا، وأسأل الله – تعالى– النفع والقبول والإخلاص في القول والعمل، فهو نعم المولى ونعم المعين!

المبحث الأول: المفاهيم النصية بين الاصطلاح والإجراء

لم تك للمفاهيم الواردة عند المفسرين من النّحاة حدودٌ نظرية بالمعنى المعروف في اللسانيات النصية، بل هي إجراءات منهجية اتّبعوها في تفسير ما بدا مشكلاً أو ملْبِسا في البناء اللغوي الظاهر على مستوى الجملة النحوية القرآنية، أو بنية النص الكلية؛ لذلك كانت معالجتهم ظواهر التركيب النصية أقرب إلى تطبيق المبادئ الانتقائية «غير المعيارية» التي اختصرها علماء النص مؤخرا في مصطلحات صادرة عن عقلهم الجمعي واجتهاداتهم الفكرية، سواء كُتب لها أو لبعضها الشيوع والاطراد، أو قُضي على بعضها الآخر بالاندثار تبعا لاختلاف المناهج، وتنوُّع المقاصد، وتعدُّد آليَات التحليل والتفسير. وفيما يأتي بيان لأهم المفاهيم النصية وموازنتها بمقولات النحاة التفسيرية للقرآن الكريم.

أولاً– التماسك النصي Textual cohesion

وسائل اتساق الجمل وانسجامها محددات شكلية ودلالية للنص بكافة أجناسه الأدبية، فهو مركب من جمل متتابعة بينها علاقات تناسق، يعنى بعضها بالمنطوق،

كالأبنية النحوية والصرفية، ويهتم بعضها الآخر بالمضمون، كالعلاقات الدلالية، والمنطقية، والتداولية. فإن تنوع العلاقات النصية هي مناط استمرارية أبنيته الظاهرة والعميقة؛ إذ تستدعي بعض أنساقها اللغوية بعضا باعتبار اللفظ والمعنى (١).

وبناء على ذلك؛ اتخذ مفهوم «التماسك» في اتجاهات التحليل النصي مصطلحين رئيسين هما:

أ) **الاتساق أو السَّبك** cohesion بوسائل التماسك اللغوية في أبنية النص الظاهرة، كالربط النحوي بالضمائر، وأسماء الإشارة، والموصولات، والظروف، وحروف العطف، وأدوات الشرط، والتكرار، ... وغيرها.

ب) **الانسجام أو الحبك** coherence بوسائل تماسك غير لغوية، كالعلاقات الدلالية، والمنطقية، والمفهومية بين المضامين والأفكار داخل أبنية النص العميقة.

إن اهتمام الدراسات القرآنية في تراثنا اللغوي بآليات تماسك النص صادر عن ثقافة إسلامية، تسلّم بإعجاز نظم القرآن المنزَّل من لدن حكيم خبير، وبتعلق تراكيبه ومضامينه دلاليًّا؛ فقد كان النحاة المفسرون وغيرهم دائمي التساؤل عن وجوه التناسب في القرآن الكريم، معولين على تماسك أجزائه، ودور روابط اتساقه في توجيه ما بدا متعارضا بين أبنيته اللغوية، فإنهم –بوصفهم محللين لتراكيبه– يفترضون أولًا تماسكه شكلًا ودلالةً، ثم يبحثون بعد ذلك عن وسائله المتنوعة للحكم عليه بالنَّصية، فـ «**مقبولية**» Acceptability المتلقي أو المفسر له معيار نصي مكمل لـ «**قصدية**» Intentionality المتكلم إلى إنتاج بنية نصية منسجمة ومتسقة في آنٍ معا (٢).

ولقد رصدت في أثناء تتبعي مقولات النحاة التفسيرية أن مفهوم تماسك النص تجسَّد لديهم من خلال استعمالهم عدة مصطلحات متكاملة فيما بينها، كـ «النظم، والتأليف، والمناسبة، والربط، والارتباط، والتعلق، والوصل اللفظي، والوصل المعنوي ... إلخ»، ولعلي أعرض فيما يأتي ثلاثة مواضع منها:

١- اتفاق شكل الرابط النحوي، واختلاف معانيه السياقية، وعلاقات الترابط المعنوي بين الجمل القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ **فَتُوبُوٓاْ** إِلَىٰ بَارِئِكُمْ **فَٱقْتُلُوٓاْ** أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ **فَتَابَ** عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة البقرة).

وجَّه **عبد القاهر الجرجاني** دلالة «الفاء» في قوله: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾، و﴿فَٱقْتُلُوٓاْ﴾ على القطع والاستئناف لوجود علاقة منطقية بين الجملة بعدها وجملة السؤال المقدَّرة قبلها، فقد قال بنو إسرائيل لمَّا أخبرهم موسى -عليه السلام- بجرم عبادة العجل من دون الله: فماذا تأمرنا؟ فقال: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾، ثم قالوا له: فما توبتنا؟ فقال لهم: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾(٣).

وقد نبَّه **الزمخشري** على ثلاثة فروق دلالية بين «الفاءات» في مواضعها من الآية، وهي كالآتي:

أ) «الفاء» في قوله: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾ للسببية، فكان ظلمهم سببا في أمرهم بالتوبة.

ب) وفي قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ﴾ للترتيب والتعقيب؛ فقتلُهم أنفسهم تتمةٌ لقبول توبتهم، أو هو التوبة نفسها.

جـ) وفي قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ **متعلقة بشرطٍ محذوف** مأخوذ من قول موسى -عليه السلام- تقديره: «إن فعلتم؛ فقد تاب عليكم». أو من خطاب الله -تعالى- لهم على طريقة الالتفات، تقديره: «ففعلتم ما أمركم به موسى، فتاب عليكم بارئكم»(٤).

لكن رأى **أبو البقاء العكبري** أن «الفاء» في قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ﴾ للتفسير، وليس للتعقيب، فالأمر بالقتل مفسر للأمر بالتوبة وشرطٌ في قبولها؛ وبهذه الدلالة قصد إلى توجيه الإحالة باسم الإشارة «ذلكم» على المطابقة العددية مع مرجعها، رغم احتمالية تعدد المشار إليه «التوبة، أو القتل» المأخوذَين من فعلَي الأمر «توبوا، واقْتلوا»، فالتوبة والقتل كلاهما بمعنى واحد، وهذا -عنده- أولى من وقوع اسم الإشارة المفرد «ذلكم» موقع «ذانكم» المثنى(٥).

غير أنَّ **أبا حيان الأندلسي** جعل السياق والتفسير موجهين لدلالة «الفاء» وإعراب جملة ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ﴾؛ فإذا كان التوبة والقتل بمعنى واحد، لصارت الجملة بدلًا من جملة ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾، ودلالة «الفاء» للسببية كدلالتها في الجملة المبدلة منها، أما إذا كان قتل أنفسهم تتمةً لقبول توبتهم؛ فتتوجَّه دلالة «الفاء» إلى التعقيب لا السببية[٦].

ومهما يكن من أمر، فإن إشكالية العطف بـ «الفاء» في الجمل النحوية للآية الكريمة لا تخص الرابط النحوي ذاته؛ بل طبيعته التداولية، وعلاقات الارتباط بين مضامين الآية، ابتداء من ظلمهم أنفسهم بعبادة العجل، ثم دعوة موسى –عليه السلام– لهم ليتوبوا، وانتهاء بالتكفير عن ذلك الجرم بقتل بعضهم بعضا، وهذا ما فطن له النحاة المفسرون في توجيههم دلالات العاطف على أساس علاقات السببية، والتفسير، والتعقيب، والترتُّب المنطقي بين الشرط المحذوف وجوابه أو بين السؤال المقدَّر وجوابه ... إلخ في سياق النص الذي يتعلق فيه الرابط بقيم مرجع واحد، هو «بنو إسرائيل»، وموضوع واحد متجانس الأحداث هو «جريمة عبادة العجل»[٧].

٢- اختلاف شكل الرابط النحوي لاختلاف العلاقات الدلالية بين الجمل القرآنية، كالفرق الدلالي بين «الواو» و«الفاء» عند عطف التراكيب، وربط محتوياتها القضويَّة الدلالية، فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ (الزمر: ٨) مصدَّر بـ «الواو» لمجرد المشاكلة اللفظية بين الجمل المتعاطفة فقط، ثم ورد في ذات السورة بعد أربعين آية قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا﴾ [٤٩] بحرف «الفاء»، فما الحكمة من اختلاف شكل الرابط النحوي، رغم أن الآيتين من المتشابهات اللفظية القرآنية؟

وجَّه **الزمخشري** الربط بـ «الفاء» في الآية على أساس علاقة السببية بينها وبين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ (الزمر: ٤٥)؛ فإنهم لما كانوا يشمئزون من ذكر الله –تعالى– وحده، ويستبشرون بذكر آلهتهم، كانت النتيجة أنهم دعوا في الضُّر من اشمأزّوا من ذكره دون من استبشروا بذكره[٨].

وتبدو إشكالية الربط النحوي بين الآيتين عند **أبي حيان الأندلسي** في الاعتراض بينهما بأكثر من جملتين لما فيه من التكلف، ومن ثم رأى أن الجملة مع «الفاء» متعلقة بالآية قبلها في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (الزمر: ٤٧) ومسبَّبة عنها، فقد ذكر ما سينال الذين ظلموا من العذاب يوم القيامة أولًا، ثم أتبع الجزاء بذكر أسبابه التي كانوا عليها في الدنيا[٩].

وبإعادة النظر كرَّة أخرى في تحليل **الزمخشري** لربط الجمل نجده يتوسع فيما لم يتوسع فيه **أبو حيان**؛ فإنه تجاوز في تحليله النحوي الدلالي حدود الجملة والجملتين إلى بنية النص الكلية، فالاعتراض المزعوم من أبي حيان هو –في كنهه– مظهر للتفريع الدلالي للجملة المسببة بعلاقات دلالية ومنطقية، تلك التي كونت مع الجمل الاعتراضية وحدة دلالية كبرى من جهتين هما:

أ) استدعاؤها جملة الدعاء لتنزيه الله –تعالى– عما ادعوه في الآية السابقة، فلله طلاقة القدرة والعلم الكامل الموجبين للحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون[١٠]، فالعلاقة الدلالية بين ادعائهم وبين دعاء الرسول –صلى الله عليه وسلم– مبنية على تضاد المضامين واختلاف مواقف الكفار في السراء والضراء.

ب) تهيئة جملة الدعاء مقام محاكمة الذين ظلموا في الآخرة وبيان حال ندمهم بعد ما ﴿بَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴿٤٨﴾﴾ (سورة الزمر)، ثم تأتي الجملة المسبَّبة متصلة بـ «الفاء» الرابطة بينها وبين الجملة المسببة المصدَّرة بـ «الواو»، والله أعلم بمراده.

٣– استعمال مصطلح «**التعلق**» في التحليل النصي بمفهومين متكاملين هما:

أ) تعلق العمل النحوي، حيث يقع –غالبا– في حدود الجملة النحوية، كتعلق العامل بمعمولاته. وترجع غلبة ذلك المفهوم العاملي في الدراسات النحوية القرآنية إلى تمسك المفسرين من النحاة وغيرهم بمبدأ «الجملة أصغر وحدة في التحليل اللغوي»؛ لذلك

عنوا بالعلاقات التركيبية بين مفرداتها أكثر من عنايتهم بعلاقات الجمل المتتابعة في النص، حتى ولو كان الغرض بيان دلالات المتعلقات اللفظية في إطار المعنى الدلالي العام للتركيب اللغوي. ومن شواهد ذلك تعلق الجار والمجرور بوظيفة نحوية أخرى على أساس السياق ودلالة التركيب في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ (الرعد: ١١).

تعددت توجيهات النحاة لتعلق الجار والمجرور ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ على أساس المقولات التفسيرية للصحابة والتابعين، فورد عن **ابن عباس** أن الحفظ مسبَّب بأمر الله، فالمعقبات ملائكة يحفظونه بأمر الله. وجاء عن **الحسن** قوله: «يحفظونه عن أمر الله»(١١). ومفاده أنَّ «مِنْ أمرِ الله» متعلّق بـ «معقبات»، وللجار في الآية دلالتان هما: «السببية، والمجاوزة».

ولعل **أبا زكريا الفراء** أفاد من القولين في تعليقه ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ بـ ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ على نية التقديم والتأخير مع قوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ﴾، فالملائكة المعقِّبات من أمر الله يحفظونه، وليس المعنى أنها تحفظه من أمر الله(١٢).

وهذا الوجه مرجَّح عند **الزمخشري**، فقوله: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾، و﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ صفتان متلازمتان لـ ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾، و«من» للسببية بدليل قراءة علي بن أبي طالب، وابن عباس، وغيرهما: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ بِأَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾، فكأنَّ المعنى «له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل أمر الله لهم بحفظه»(١٣).

لكن خالفه **أبو حيان الأندلسي وتلميذه السمين الحلبي**؛ فعلقا الجار والمجرور بصفة محذوفة لـ «معقبات»؛ فصار المعنى وصف الملائكة بثلاثة أشياء: كونها من بين يديه ومن خلفه، وأنها تحفظه، وأنها من أمر الله. وبناء على توجيههما؛ فليس في تركيب الآية تقديم وتأخير –كما زعم **الفراء**– فتقديم الوصف بالجمل على الوصف بالجار جائز فصيح في كلام العرب(١٤).

وفي ضوء ما ورد عن ابن عباس والحسن وجَّه **أبو البقاء العكبري** دلالة «منْ» على ابتداء الغاية، أو المجاوزة، أو السببية، فصار المعنى الدلالي التفسيري للآية: «يحفظونه من الجن والإنس، أو عن أمر الله، أو بأمر الله»(١٥).

أما **الزّجاج** فعلّق الجار والمجرور بالفعل ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾، واختلف المعنى التفسيري عنده بأنَّ الملائكة المعقبات يحفظونه مما أمرهم الله تعالى به، فـ «من» لابتداء الغاية على بابها، ولم يجزِ فيها معنى المجاوزة؛ لأنهم لا يقدرون على دفع أمر الله عنه إلا بإذنه(١٦).

وهكذا؛ نجد فهم المفسرين من النحاة تعلق الوظائف النحوية بعضها ببعض لاعتبارات العمل النحوي، وصلة العامل بمعمولاته- غير منفك عن المعنى الدلالي لمجمل الآية الكريمة؛ لذلك تعددت تفسيراتهم الدلالية وتوجيهاتهم النحوية للجار ومجروره على الوجوه السابقة.

ب) تعلق دلالي متَمم لمعنى نحوي يتجاوز حدود الجملة إلى آفاق النص القرآني، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝٥١﴾ (سورة يونس).

وجَّه **الزمخشري** المعنى على أساس العلاقات الدلالية والمنطقية بين الاستفهام والشرط، فعلق الاستفهام في قوله: ﴿مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ تعليقًا مباشرا بقوله: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ على حذف جواب الشرط، أو تعليقًا غير مباشر بوقوع الاستفهام جوابا للشرط قبل تعلقهما بجملة ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾، أو بوقوع الاستفهام جملة اعتراضية بين جملة الشرط والاستفهام الواقع جوابا له في قوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ﴾ (١٧).

وقد تعقّبه **أبو حيان الأندلسي**، فلم يجزِ وقوع جملتَي الاستفهام ﴿مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾، و﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ﴾ جوابي شرط؛ لقرينة لفظية هي حذف «فاء» السببية الذي يمتنع في سعة الكلام، ويجوز في ضرورة الشعر عند جمهور النحاة (١٨).

والغريب في المسألة أنه لم يحدد جملة الجواب بعد رفضه وقوعها استفهامية بدون «فاء» السببية، مما يقوي عندي رأي **الزمخشري** وتحليله علاقات الجمل للأسباب الآتية:

- **كان حكم الزمخشري على حذف «الفاء» بالشذوذ -لا بالضرورة-** مع الجزاء الواقع أمرا، أو نهيا، أو ماضيا صريحا، أو مبتدأ وخبرا، ولم يذكر فيها الاستفهام الذي هو محل الشاهد في الآية [١٩].

- **فصاحة ذلك الاستعمال لوقوعه في الاختيار**، كالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام)، والتقدير: «فَإِنَّكم لَمشْرِكُون». وقراءة **طلحة بن سليمان**: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِكُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ (سورة النساء: ٧٨) برفع ﴿يُدْرِكُّمُ﴾ [٢٠] على تقدير «فيدرككم». وجاء في الحديث الشريف عن اللقَطَة: "فإن جاء صاحبها، وإلّا استمتع بها" [٢١]، والتقدير: «وإلّا فاستمتع بها». وهذا يعني أن القاعدة المطردة لا تنفي الاستعمالات اللغوية الأخرى، ما دامت فصيحة ومنتحى بها سمت كلام العرب.

- **أفاد الزمخشري من التعلق الدلالي المتَمم للمعنى النحوي** بتجاوزه حدود الجملة الواحدة إلى علاقات الجمل وتداخلها، فلعلّه -مع إحسان الظن به- رأى أنَّ حذف «الفاء» من جملة الجزاء مشكلة متعلقة بالعمل النحوي لأداة الشرط الجازمة، لا بالمعنى الدلالي لبنية النص الكبرى، إذ ليس للأداة أثر في إيقاع علاقة الترتُّب والجزاء على جملة الاستفهام في حال حذفها.

ثانيا- القصدية Intentionality

يفترض معيار «القصدية» وجود تماسك نصي بالفعل أو بالقوة في الخطاب اللغوي؛ فالمتكلم يقصد إليه حتى ولو بدا غير متوافر في بنيته الظاهرة؛ وبناء عليه يقبله المتلقي ساعيا إلى إثبات تماسكه وترابط مكوناته بالنظر إلى بنيته العميقة[٢٢].

ولعبد القاهر الجرجاني قاعدة تحليلية تؤكد "أنه لا يكون ترتيب -ترتيب الخطاب- في شيء حتى يكون هناك قصدٌ إلى صورة وصنعة ....، أفي الألفاظ يحصل له ذلك، أم في معاني الألفاظ؟"(٢٣).

ثم نجد علماء العربية يتوسعون في دلالة مفهوم القصدية، ليشمل نظم الكلام وعلاقاته السياقية حين تحدثوا عن دلائل فصاحته التي تبدأ من اختيار الألفاظ المفردة، ومرورا بنظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، وانتهاء بالغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أجناسه الأدبية(٢٤).

وقد عوَّل المفسرون من النحاة على ذلك المفهوم في تبرير النمط الترتيبي للخطاب القرآني، ومن أدلة ذلك ما يأتي:

١- ترتبت الجمل النحوية من غير عاطف في البنية الظاهرة لآية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ (سورة البقرة)

فانتظامها على تلك الصورة مرجعه القصد إلى ترابط بنياتها العميقة بعلاقة البيان والإيضاح، فمن المعلوم أنه كلما قوي الترابط الدلالي بين الجمل لم يكن هناك حاجة إلى روابط نحوية في بنيتها الظاهرة، والعكس صحيح. **فالجملة الأولى:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ بيان لقيوميته على تدبير أمور الخلق وهيمنته عليهم دون سهو أو غفلة. **والثانية:** ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ بيان لكونه مالكا لما يدبره. **والثالثة:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ بيان لكبرياء شأنه. **والرابعة:** ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ بيان لإحاطته بأحوال الخلق، وعلمه بالمستوجب للشفاعة وغير المستوجب لها. **والخامسة:** ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ بيان

لسعة علمه، أو لجلاله وعظيم قدره (٢٥).

٢- ورود قصة ذبح البقرة وقصة قتيل بني إسرائيل في القرآن الكريم غير مرتبة ترتيبا منطقيًّا يستدعي ذكر قصة قتل النفس وجدالهم فيها أولًا، ثم التثنية بقصة الأمر بذبح البقرة وضرب القتيل ببعضها، ومرجع غياب ذلك الترتيب إلى ثلاثة أغراض سياقية استخلصها **الزمخشري** هي:

أ) وحدة البناء القصصي واطراده في أخبار بني إسرائيل الذي عقد في القرآن الكريم لتعديد جناياتهم وتقريعهم عليها.

ب) القصد إلى مخالفة الترتيب لإثبات قصتين لا قصة واحدة، فكان تقديم قصة ذبح البقرة على قصة القتيل للمبالغة في تقريع بني إسرائيل على ما ارتكبوه من جرائم.

جـ) القصد إلى مخالفة الترتيب الزمني للأحداث وربط القصتين بعد فصلهما بذكر ضمير البقرة دون التصريح باسمها في قوله تعالى: ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾ [٧٣](٢٦).

وقد تعقبه **أبو حيان الأندلسي** -كعادته- بأن حمل الشيء على ظاهره أولى من العدول عنه ما أمكن إلى ذلك سبيل، فترتيب وجود القصتين ونزولهما كان على حسب تلاوتهما، فلا يوجد ما يضطرنا إلى اعتقاد تقدُّم قصة القتيل على قصة ذبح البقرة، ما دام لم يرد به قرآنٌ ولا سنَّة (٢٧).

يرى البحث أن إعادة المفسرين ترتيب الخطاب ما هو إلا افتراض ذهنيٌّ يصحح ما يوهم ظاهر الآيات بخلافه في ذهن المتلقي، فما كان للزمخشري أن يرمي النظم القرآني بالخلل، بل غايته من ذلك إثبات الاستقلال النسبي لكل قصة عن رسيلتها مع اعترافه باتصالهما واتحادهما معا برابطَي الإحالة في قوله: ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾، فمرجع «الهاء» إلى القتيل، ومرجع الضمير «ها» إلى البقرة. ولعل ما غمزه به **أبو حيان** قد دفعه عنه **الفخر الرازي** من قبل، حين علل ترتيب الخطاب بأمرين واجبين، وجوب الوجود «الترتيب الزمني» لأحداث القصتين، ووجوب الإخبار «ترتيب النظم»، أو «ظاهر التلاوة»، وللمفسر في أولهما مندوحةٌ ليست له مع ثانيهما؛ فالتقدم في الذكر غير واجب؛ فتارة يتقدم ذكر السبب على الحكم، وتارة أخرى يقع على عكس ذلك(٢٨).

ثالثًا– التناص Intertextuality

تُلْجِئ خبرة المفسرين بآليات تحليل النص في بعض الأحيان إلى تطبيق إجراءات متشابهة بين نصوص ذات علاقات مشتركة، ويعرف ذلك الإجراء بالتناص الذي يعود ظهور مصطلحه العلمي –مع الاعتراف بوجود مفهومه سلفًا في الفكر الإنساني– إلى ستينيات القرن العشرين عند **جوليا كريستيفا**، حيث وظفته في دراساتها النقدية لأعمال الأديب الروسي باختين، ثم صار فيما بعد معيارا نصيًّا للحكم على الكفاءة الإبداعية والتأويلية في تحليل الخطاب(٢٩).

ومن الحقائق العلمية الثابتة أن تراثنا اللغوي عرف التَّناص في إشارات القدامى إلى أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وأن السنة النبوية المشرَّفة تفصل ما أجمله، وتوضح ما أَبهمه أو سكت عن بيانه ... إلى غير ذلك من عبارات قد تقترب أو تبتعد أحيانا عن دلالة المفهوم في اللسانيات الحديثة. وما يطمئن إليه البحث أن لتطبيقاته في التحليل النصي إجراءين: أحدهما، صادر عن أبنية النص ذاته. والآخر، مستدعى من نصوص أخرى خارجة عنه، والإجراء الأول أفضل وأَسدُّ في التفسير، فأحسن طرقه –في رأي **الزركشي**– تفسير القرآن بالقرآن، فإن أعيا المفسر ذلك فليستعن بالسنة النبوية، أو بأقوال الصحابة، وإلّا رجع إلى الاستنباط والنظر (٣٠).

يرى البحث أن تقديم آلية تفسير القرآن بالقرآن –وهو لا ينفى اللجوء لغيرها– يتطابق مع المعنى الحرفي للمصطلح الأجنبي Intertextuality بمعنى داخل النص، فهو مركب منحوت من كلمة Inter بمعنى «داخل»، وكلمة textuality بمعنى «نصي». وإذا ما تجاوزنا تطبيقات التناص الخارجي عند المفسرين من النحاة –وهي كثيرة جدًّا– فإني أستدل على التناص الداخلي بتحليلاتهم للمتشابهات القرآنية، وخاصة في القصص القرآني:

١– تبدو الإشارة إلى التناص في سرد **قصة فرعون مع بني إسرائيل** في غير موضع من القرآن الكريم بألفاظ عديدة، كقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ في سورة البقرة [٤٩]، وقوله: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ في سورة الأعراف [١٤١] بغير «واو». وفي سورة إبراهيم:

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [٦] بإثباتها.

ربط النحاة المفسرون آيات السور الثلاثة في بنية واحدة تتفاعل دلالاتها في تشكيل القصة وبيان الغرض منها؛ فإذا أُرِيد التفسير بعد الإجمال، وقع الفعل بغير عاطف، أما إذا لم يرد منها الإجمال أو التفسير؛ فيؤتى بالعاطف. فـ "التذبيح حيث طَرح «الواو» جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له، وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب، وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر" (٣١).

وراعى **الزجاج** سياق القصة العام والغرض منها في جميع السور في تقوية وجه التشديد في قراءة الجمهور: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾، فهو أبلغ لأن دلالة تكثير العذاب وتنوّع صنوفه هي المرادة. ومن ثمَّ رمى رواية التخفيف: ﴿يَذْبَحُونَ﴾، بحذف العاطف أو إثباته، بالشذوذ؛ لاحتمال دلالة الصيغة على القليل والكثير(٣٢).

أما الإمام **الكرماني** فاعتمد على السياق الخاص بكل سورة في توجيه الوصل اللفظي بالعطف أو الوصل المعنوي بالقطع، فالفعلان ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بدلان من الفعل ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾؛ فالله –تعالى– لم يرِد تعديد المحن عليهم؛ أما الفعل بـ «الواو» في ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾، فجاء لتعديد تلك المحن عليهم؛ للأمر الوارد سلفًا في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ (إبراهيم: ٥)(٣٣).

٢- قصة موسى مع قومه من بني إسرائيل ذُكرت في (سورة البقرة): ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٨]. وفي (سورة الأعراف): ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [١٦١].

رأى **الزمخشري** أنه لا تعارض في المعنى مع اختلاف البنية التركيبية للآيتين في قوله: ﴿ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا﴾، وقوله: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا﴾؛ لأن سكْناهم القرية تسبَّبت في الأكل منها. أما تقديم الحطة على دخول الباب أو

تأخيرها فسواء ما داموا قد جمعوا بينهما في الإيجاد، كما أنَّ ترك ذكر الرَّغد لا يمنع إثباته (٣٤).

وحمل كلٌّ من **الكرماني والفخر الرازي** اختلاف العاطف على اختلاف دلالة الأمر في الآيتين، فلما كان الدخول سريع الانقضاء، أتبعه الأكل ولم يحتج إلى مدة طويلة، فقال: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾، بخلاف الأمر بالسكن –الإقامة واتخاذ القرية سكنا– فهي لا تتطلب سرعة وانقضاء، فقال: ﴿ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ بـ«الواو»؛ فكان أمرا بالجمع بين الأكل والسكن معا(٣٥).

ومحصلة الأمر أن مفهوم «التناص» كان أسبق من مصطلحه في فكر المفسرين من النحاة، حين وظفوه في تفسير القرآن بالقرآن، ودفع ما يوهِم بعض المتلقين له بأن المتشابهات القرآنية مجرد تكرار لفظي لا دلالة من ورائها، خاصة في القصص القرآني الموزَّع على أكثر من سورة وفي غير مناسبة.

رابعا– مقامية الخطاب Situationality

للخطاب القرآني سياق لغوي «نصي» Textuality، وآخر غير لغوي «مقامي» Situationality يتطلب استحضاره عند التفسير؛ من حيث كانت ألفاظه وتراكيبه محصورة بتواتره، خلافًا لمعانيه ودلالاته التي تَندُّ عن الحصر لارتباطها بأغراض ومقاصد شرعية تستدعي تراكيب لغوية معينة تنجزَها في سياقات محددة. وهذا ما هدف إليه البلاغيون من قولهم: «لكل مقامٍ مقال»، غير أن تلك المقولة حين اتجهت في تراثنا اللغوي إلى التنظير العلمي فقدت كثيرا من قيمها الأسلوبية، فحدَّت ما يستعصي على الحد، وكبحت جماح ما يتأَبَّي على السكون، وهذا ما حدث في علم المعاني واختصاصه بدراسة خصائص التراكيب اللغوية وعوارضها بوضع قوالب معيارية لمقامات استعمالها، كمقامات المدح، أو الذم، أو السخرية، أو الاستهزاء، أو الفخر، أو الهجاء، ... وغيرها.

ولم يك فكر النحاة المفسرين بعيدا عن ثقافة عصرهم، فهم يستخدمون المقامية

في تحليل الخطاب القرآني **من منظور المعيار الثابت**، وذلك بوضع قوالب نحوية وسياقية للتراكيب اللغوية، كما يستبين من التوجيهات الآتية:

١- المزاوجة بين معيارية التركيب وشروط الوظيفة النحوية من جهة، وبين مقام الخطاب وحال المخاطبين من جهة أخرى في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٢٨﴾﴾ (سورة البقرة).

ف «كيف» مسلوبة الدلالة على الاستفهام المحض، والمعنى عند جمهور النحاة هو: «كيف تكفرون بالله، وقد كنتم أمواتا!»؛ فدلالة الكلام في مقام التعجب والتوبيخ لا تستقيم -عندهم- دونِ تقدير «قد» في صدر جملة الحال؛ مراعاة لشرطها النحوي إذا جاء فعلها ماضيا مثبتا[٣٦].

لكن ذهب **الأخفش** إلى أنَّ وقوع جملة الحال دون تقدير «قد» سائغ في كلام العرب، نحو: «قد كان هذا قُطْنًا»، و«كان هذا الرُّطَب بسرا»، ووافقه **أبو حيان الأندلسي** تحاميا من التكلف، فما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إليه[٣٧].

أمَّا **الزمخشري** فربط مقام الإنكار والتعجب بالتناوب الدلالي بين «كيف» و«همزة» الاستفهام، فقدَّر الاستفهام التعجبي بقوله: «أتكفرون بالله»، رغم أن الهمزة تستخدم لإنكار الفعل واستحالته في نفسه، و«كيف» لإنكار حالة الكفر التي كانوا عليها مع عدم استحالتها مع الإماتة والإحياء؛ ولكنه قارب بين الأداتين في مقام الخطاب بجعل حال الكفار تابعة لذات الكفر.

وبناء على ذلك؛ توسَّع في وظيفة الحال الواقعة بعد «الواو» بالتفريع الدلالي، فهي مجموع قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، والتقدير: كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه، وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم؛ فجعلكم أحياء، ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد الموت، ثم يحاسبكم[٣٨].

٢- معيارية المقام مسوغٌ لاختلاف الوجوه النحوية للقراءة القرآنية في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ (سبأ: ١٥). فقراءة الجمهور: ﴿جَنَّتَانِ﴾ (بالرفع) بدل وتفسير لـ «آيةٌ»، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: «الآيةُ جنتان»، أو مبتدأ خبره «عن يمين وشمال»[٣٩].

وقراءة إبراهيم بن أبي عبلة: ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ (بالنصب) خبر «كان»، واسمها «آيةٌ»، لكن هذا الوجه لغة لا قراءة عند كلٍ من **الفراء والنّحاس**[٤٠].

وقد استدل **الزمخشري** على معنى المدح في قراءة الرفع بوجود معنى المدح في قراءة النصب المقتضي قطع التابع عن متبوعه في الإعراب[٤١]، فالداعي لمخالفة الإعراب في الآية هو مقام الخطاب ومقاصده.

٣- حركية المقام في بيان المضامين الاجتماعية والثقافية والعقدية للآيات، ومن مظاهره الوصفية استحضار أطراف الخطاب، كالمتكلم، والمتلقي، والزمان، والمكان، والغرض منه، وكذلك الوسائل المصاحبة للحدث الكلامي من حركات جسدية، وتعبيرات غير لغوية، كل ذلك يضفي على النص اللغوي طابعا حركيًّا، ومن ذلك بيان الغرض من الأمر باستحضار سياق الموقف وعناصره غير اللغوية في قوله: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ (القصص: ٣٢).

ذهب **الزمخشري** إلى أن موسى -عليه السلام- اتَّقى بيده العصا التي صارت حيَّة كما يفعل الخائف، وهذا وصف لحركة جسدية مصاحبة للأمور المعجزة غير المألوفة، فجاء الأمر بضم اليد، وإدخالها تحت عضد اليد اليسرى؛ لإنجاز غرضين: **أحدهما**، بيان حال البشر عند حدوث المعجزات ورد فعلهم الذي تظهره حركات الجسد وتعبيراته، **وثانيهما**، إظهار تجلد موسى -عليه السلام- وضبط نفسه أمام فرعون، حتى يعلم أنه رسول الله لا ساحر يدَّعي النبوة والرسالة، ومن ثم صاحبت حركة رد الفعل باليد معجزة أخرى هي خروجها بيضاء من غير سوء[٤٢].

وقد قدّر المفسرون من النحاة في آية (النمل) المشابهة لها في قوله: ﴿وَأَدْخِلْ

يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴿١٢﴾ – حذفين لقرينة لفظية من السياق، والمعنى: «وأدخل يدك في جيبك تدخل، وأخرجها تخرج»، فرأى **السمين الحلبي** أنَّ حذف الفعل «تدخل» كان لدلالة الفعل «تخرج» عليه، وحذْف «وأخرجها» لدلالة «وأدخل» عليه (٤٣).

ولا يمنع ذلك التقدير توجيها آخر –من اجتهادي، فأعوذ بالله من الزلل وأسأله التوفيق– أراه يؤكد الغرض الثاني في تفسير **الزمخشري** لآية القصص [٣٢]، وهو أن فعل الأمر بالدخول الملفوظ «أدخل» قرينة على حذف فعلِ الحركة غير الملفوظ «تدخل»، ثم حدث العكس بدلالة فعل الحركة غير الملفوظ «تخرج» على فعل الأمر الملفوظ المقدر «أخرج»، ومن ثمَّ تعانقت العناصر اللغوية وغير اللغوية في توجيه معنى الآية؛ فرأى **الزركشي** أن دلالة السياق والمقام قاطعة بوقوع الحذف وتقدير كلا المحذوفين على ما عرض فيهما من تناسب بالطباق(٤٤).

خامسا– بنية الخطاب الكبرى:

البنية الكبرى للخطاب القرآني أشمل من بنيته الدلالية؛ فهي المعنى الدلالي الكلي الناتج عن تفاعل الأبنية الصغرى، كالبنية الظاهرة المكوَّنة من تتابع المفردات والجمل بعلاقات سياقية، والأبنية العميقة للأفكار والمضامين التي يعبَّر عنها بالجمل، ثم البنية الدلالية التي تربط المنطوق بالمفهوم، أو تنقل المتكلم من المستوى الذهني العميق إلى المستوى اللغوي الظاهر. وللنحو وعلاقاته السياقية دور مهم في تشكيل البنية الكبرى، فالنظم يسبكه النحو سبكا واحدا، فيتحصَّل من مجموع وحداته معنى واحد لا عدَّة معانٍ، يتحقق بها الفهم والإفهام بين المتكلم والمتلقي (٤٥).

وتتحدد البنية في دراسات النص بالنظام اللغوي، وعناصرها المكونة لها، وعلاقاتها الأفقية والرأسية، ثم تماسك وحداتها وانسجامها شكلًا ودلالة. وتصدق هذه المحددات على كافة الأبنية غير أن البنية الكبرى تمتاز بشمولية تمكنها من التحكم في دلالة النص، وبطبيعتها الحركية التي تجعلها من آليات تفسيره، كما كانت من ذي قبل إحدى آليات إبداعه، وبالتالي يصير النص مغلقًا لا يسمح بأية إضافات لغوية، وذا

بنية مفتوحة لا بالإضافة، بل بإحالة وحداته اللغوية إلى مفسراتها من خلال التفاعل النصي بين الأبنية الصغرى، وحركية التناص(٤٦)، وكذلك القرآن الكريم، فهو نص لغوي معجز، قراءاته التي تواترت إلينا سنة متبعة لا يجوز لأحد مخالفتها أو الإضافة إليها، مع الأخذ في الاعتبار طاقة ألفاظه وتراكيبه الحمَّالة لوجوه كثيرة من المعاني والدلالات التفسيرية الكامنة فيه.

ولعلّنا نجد مفهوم البنية الدلالية الكبرى عند النحاة المفسرين جملة وتفصيلاً حين يتحدثون في المجمل عن المناسبة بين آي السورة الواحدة، أو بين السور المتتابعة بما يجعلها بنية دلالية منسجمة، وتتجلى فائدتها في "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالُـه حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"(٤٧)، ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

١-اعتمادهم على البنية الكلية للقرآن الكريم في تفسير السبع المثاني بآيات الفاتحة، أو السبع الطوال -من سورة البقرة إلى الأنفال والتوبة معا-، فهما في حكم السورة الواحدة. وبناء على ذلك لا يرى **الزمخشري** أن الربط بالعاطف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴿٨٧﴾﴾ (سورة الحجر) من قبيل عطف الشيء على نفسه، فالقرآن اسم جامع لآيِه وسوره، ويُطْلَق على البعض منه، كما يراد به الكل(٤٨).

٢- مناسبة فاتحة سورة «المؤمنون» لخاتمتها، فالمعنى الكلي لموضوع الخطاب فيها هو فلاح المؤمنين ونفي فلاح الكافرين، حيث بدأها بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴿١﴾﴾، ثم ختمها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴿١١٧﴾﴾(٤٩). وللتناسب الدلالي في البنية العميقة -بتضاد مآل الفريقين- ظهير من التوازي التركيبي في بنيتها الظاهرة، كمجيء الفعل بمادة «أَفْلَحَ» مثبتا مرة ومنفيًّا مرة أخرى، وتأكيد معنى الإسناد النحوي بمؤكدين هما «قد، وإنَّ»، وكل واحد منهما جاء مناسبا لنمط جملته النحوية من حيث الفعلية أو الاسمية.

فمناسبة فواتح السور لخواتيمها مظهر للتناسب الدلالي لا يدركه المفسر إلا بمراعاة البنية الكبرى لها، وربما تجاوزت نظرته حدودها إلى بنية السورة بعدها حين تكون الخاتمة تمهيدا لموضوعها، كختام سورة **«الطور»** بالأمر بالتسبيح من الليل وإدبار النجوم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ٤٩﴾، ثم بدء سورة **«النجم»** بالقسم في قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ١﴾. وكذلك ختام سورة **«المرسلات»** بالاستفهام عن أي كتاب بعد القرآن يؤمنون به يحدثهم عن البعث والحساب في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ٥٠﴾، ثم بدء سورة **«النبأ»** باستفهام عن نبأ البعث الذي ينكره الكفار في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ٣﴾.

٣- التناسب الشكلي في فواتح السور، فقد لاحظُوا مجيء الفعل ﴿سَبَّحَ﴾ بلفظ الماضي في بعض فواتح السور، وفي بعضٍ آخر بلفظ المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾، واستنتجوا من ذلك التناسب أمرين يتعلقان بدلالة الفعل وتركيبه النحوي:

- **الأول، البنية الكبرى لمجموع أزمنة الفعل الصرفية في السور**، فالتسبيح صفة ملازمة لماهيات الكائنات المسبِحة، فهو غير مقيَّد بوقت معين. فهناك مشاكلة بين ترتيب السور وترتيب تصاريف الأبنية الصرفية لمادة التسبيح في إثبات تلك النتيجة، حيث بدأَ بالمصدر ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ في سورة «الإسراء»؛ لأنه الفعل أو الحدث، ثمَّ جاء بالماضي ﴿سَبَّحَ﴾ في سور «الحديد، والحشر، والصف»، لأنه أسبق الزمنين، ثمَّ بالمستقبل ﴿يُسَبِّحُ﴾ في سورتي «الجمعة، والتغابن»، ثمَّ بالأمر ﴿سَبِّحِ﴾ في سورة «الأعلى»؛ استيعابا لجميع جهات الحدث مقترنا بزمن أو غير مقترن به(٥٠).

- **الثاني، تعدية فعل التسبيح بـ «اللام» في فواتح جميع السور**، رغم تعديته بنفسه في الأصل؛ فـ «اللام» للاختصاص، كـ «نصحت له»، بمعنى: خلُص تسبيحي لله، أو للتعليل، أي: أحدث التسبيح لأجل الله، ولوجهه خالصا(٥١).

سادسا- تداولية الخطاب:

من المستقر في أدبيات النظرية التداولية ضرورة ربط الاستعمال بوظيفة اللغة الأدائية؛ فهي تنجز الأغراض والمقاصد في مقامات مقتضية لها، ومع ذلك يعترف التداوليون بأن مفاهيم التداولية Pragmatism متعددة إلى درجة أنها تتجاوز المجال اللساني إلى السيميائي، والمجال الإنساني إلى الحيواني، غير أن التداولية اللغوية أوجدتها دراسة علامات اللغة في القرن العشرين عن طريق مقاربتين، مقاربة دلالية لدراسة المعنى والمرجع والحالة اللغوية، ومقاربة نحوية لدراسة علاقات الكلمات داخل الجملة أو الجمل لوضع قواعد تحويلية تنقلنا من تعبيرات ما إلى تعبيرات أخرى(٥٢).

وتداولية الخطاب هي مجمل العلاقات المطردة بين أبنيته وسياق استعماله، وتصدر أهميتها عن دورها في تحديد خصائص اللغة وفهم بنية المتداولين لها، والقوى الإنجازية لأفعال الكلام، وإنشاء السياق التواصلي عند التلفظ بها(٥٣)، وهذا يعنى أن للتداولية في المجال اللساني مسارات نحوية، ودلالية، ومقاصدية تربط اللغة بمستعمليها في عملية التواصل اللغوي والاجتماعي.

تناول الإمام **الزمخشري** بنية الخطاب القرآني على أساس تداولي بالمزاوجة بين تراكيب اللغة ومقاصد استعمالها في أثناء تفسير الالتفات الإحالي من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب في قوله تعالى: ﴿طه۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ۝٦﴾ (سورة طه)، حيث كشف توجيهه مرجع الإحالة خصائص البنية الكلية للآيات من خلال القوى الإنجازية للغة الخطاب الموجَّه إلى رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم-، وهي:

أ) **جمال النظم القرآني**، بالافتنان في تراكيب الكلام، وإعطائه من الروعة والحسن ما يظهر إعجازه اللغوي.

ب) **اطراد مرجع إحالة الضمير**، لإثبات التدرج في المبالغة بتعظيم الله، وتمجيد صفاته،

حيث وردت تلك الصفات مع لفظ الغيبة بعد تفخيمها بالإسناد إلى ضمير المتكلم الواحد، فضوعفت الفخامة بالالتفات الضميري من هذين الطريقين.

جـ) إنجاز الدلالة بفعل كلام خبري، ومن ثَمَّ يوجه ضمير المتكلم في قوله: ﴿أَنزَلْنَا﴾ على أنه حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه.

ثم إنه يعول على فكر المعتزلة في الاستواء على العرش، حيث وجه جملة ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ بأنها خبر ثانٍ لمبتدأ محذوف؛ كناية عن معنى الملك، لا حقيقة الاستواء على العرش، فالقعود والاستواء على العرش لم يقعا من الله –تعالى– على الحقيقة(٥٤)، وهكذا يضفي الإمام مفاهيم خاصة من فلسفته على كثير من المسائل اللغوية التي تنجز من وجهة نظره التفسيرية آراءه الاعتزالية في مسألة استواء الرحمن على العرش، ورؤية الله –تعالى– يوم القيامة، وتنزيهه عن الجوارح، وصفات الأجسام، إلى غير ذلك من الآراء المبثوثة في تفسيره.

ومحصلة ما سبق، أن غياب تنظير المفاهيم النصية في مقولات النحاة التفسيرية يضع الباحثين أمام صعوبة منهجية في فهم طبيعة دراساتهم القرآنية، أهي دراسات نصية أم غير نصية؟ على أساس اتخاذهم النحو وعلاقاته السياقية مدخلا صالحا في تفسير الخطاب القرآني، وبيان خصائص نظمه، وتوجيه بنيته الكبرى، ولذلك؛ لا سبيل –من وجهة نظر البحث– إلى التغلب على تلك الصعوبة إلا بتكامل منهج تحليل الجملة ومنهج تحليل النص في فكر النحاة المفسرين، فإنَّ لجوء معظمهم إلى مفاهيم النص لم يكن نكرانا لمنهجهم التقليدي في الدرس النحوي المعني بالتقعيد ومعيارية القواعد في الاستعمال اللغوي، وإنما يصدر عمَّا وقر في يقينهم من أن معطيات الجملة لا تقدم حلولًا مقنعة لما يعتري ظاهر النص ما يوهم خلاف مراده؛ فالمنطوق –في بعض الأحيان– لا يمدنا بما يفسر ذلك السلوك اللغوي، ومن ثَمَّ كان لا بد من بحث مستويات أخرى، كالبنيات الإحالية، والتركيبية، والمفهومية في إطار تحليل البنيات الكبرى. وهذا ما أفردت له صفحات المبحث التالي إن شاء الله.

المبحث الثاني: دور المفاهيم النصية في توجيه النص القرآني

تراعي فكرة المبحث مقتضى حال المتلقي أو المفسر، لا حال الخطاب القرآني نفسه؛ فإني على يقين لا يزعزعه شكٌّ بأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وأن الله –تعالى– يسَّر تلاوته وحفظه لعباده المؤمنين، وأنه معجز في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه، وما أهدف إليه هنا توضيح الإجراءات النصية التي اتبعها النحاة المفسرون في أثناء تأويلهم ما قد يوهِم في ظاهر بنيته التركيبية، وتفصيلها كالآتي:

أولاً– توجيه روابط البنية التركيبية في الخطاب القرآني:

عرفنا أن وسائل تماسك النص روابط لغوية، كالمضمرات، والمبهمات، وحروف العطف، وأدوات الشرط...، أو علاقات مفهومية ومنطقية، كالتفصيل بعد الإجمال، والعكس، والسبب والنتيجة، والبيان والتفسير، والتوكيد. ومظان تلك الروابط وعلاقات الجمل في نوعين من الأبنية الصغرى، البنية التركيبية والبنية الإحالية اللتين تشتركان مع البنية الزمنية في تكوين بنية النص الكبرى. وتصدر إشكالات تماسك النص في أنساق الخطاب القرآني عن خصوصية الإحالة وأنماطها، وتداولية روابط العطف والشرط، والتفريع الدلالي التركيبي في لغة القرآن المعجز، فكيف توظف مفاهيم النص في تقريب دلالاتها وتوجيه بنيتها الظاهرة؟

١ – المزاوجة بين الوصل اللفظي والوصل المعنوي:

الربط في اللغات السائدة إما **واضح** في بنية النص الظاهرة من خلال الروابط النحوية، وإمَّا **ضمنيٌّ** من خلال تجاور الجمل الذي يقف وراءه شدة ارتباطها بعلاقات سياقية ودلالية ومنطقية(٥٥). ويمكن صياغة تلك الحقيقة اللغوية في قانون عام يفيد أنه «كلما قوي الوصل الدلالي ضعف الوصل الشكلي، والعكس صحيح»، وأحيل إلى تطبيقاته في البحث النحوي لدراسة روابط جملة الخبر بالمبتدأ، وجملة النعت بالمنعوت، وجملة الحال بصاحبها، وجملة الصلة بموصولها، وكذلك جملة جواب الشرط بجملة الشرط، وذلك لئلا يتوهَّم أن الجملة أجنبية عن متعلقاتها في سياق الاستعمال؛ لذلك

كانت قوة العلاقات السياقية محددا يستدعي الوصل الشكلي أو الوصل الدلالي بين الوظائف النحوية، وسنجد أن النحاة المفسرين لفتوا الأنظار لذلك عند بيان أنماطها التركيبية، وتوجيه دلالاتها في الخطاب القرآني:

أ) معاقبة الوصل اللفظي للوصل المعنوي:

اختلف وصل الجمل بالمعاقبة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦﴾ (سورة الرحمن).

حمل النحاة الوصل المعنوي للجمل الثلاثة المستأنفة في قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ من غير «عاطف» على قوة ارتباطها بعلاقة الإسناد النحوي، فهي أخبار متعددة للمبتدأ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ عند من لم يجعله آية أو كلاما تامًّا (٥٦).

ومع ذلك أجاز **العكبري** اتصال جملة ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ بجملة ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ المستأنفة بعلاقة الملابسة، فهي حال مقدرة من «الإنسان»(٥٧).

لكن اعترض عليه **السمين الحلبي** مرجحا رأي الجمهور اعتمادا على ظاهر الآيات(٥٨). ويقوى ذلك عندي وحدة رابط الإحالة «هو» في الأخبار المتعددة، ووحدة مرجعه المبتدأ «الرحمن»، فلم تكن الجمل –رغم غياب العاطف– أجنبية عنه؛ إذ المراد من سياق الآيات الإخبار بأن العلم والخلْق من صفاته سبحانه، لا ذكر حال البيان والفصاحة الملابسة لتكريم الإنسان.

أما إشكالية الربط والارتباط في قوله: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦﴾ فهي من وجهين:

أولهما، الوصل المعنوي للآيتين بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، والأخبار المتعددة من غير «عاطف»، ومرجع ذلك قوة الاتصال بين مضامين الجمل، فالحسبان والسجود للرحمن دون غيره.

وثانيهما، الوصل اللفظي بالرابط النحوي في الآيتين بـ «واو» العطف مع ارتباطهما دلاليًّا بما قبلهما؛ ولذلك السلوك اللغوي عند النحاة تفسيران:

– **قوة تناسب عناصرهما المتعاطفة مع الاعتراف بتغاير مادتها**؛ وهذا رأي **الزجاج**، و**عبد القاهر الجرجاني**، فيعولان على المعنى اللغوي لمادة: [نجم] ، فالنَّجم: كل ما نبت من الأرض أو طلع من نجوم السماء، كما استدل **الزجاج** على سجودهما بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج: ١٨)[٥٩].

– **ضعف المناسبة الدلالية بين تلك العناصر**، وهو رأي **الجمهور**، فالشمس والقمر جرمان سماويان، والنجم والشجر نباتان أرضيان؛ لكن الجامع بينها هو انقياد تلك العناصر –مع اختلاف مواقعها– لخالقهن، وهو الرحمن[٦٠].

وهكذا، تمكن النحاة من توجيه البنية الظاهرة للآيات، وتقريب دلالاتها على أساس المفهوم النصي المعني بتماسك الأنساق اللغوية وانسجامها.

ب) احتمال الرابط التركيبي للوصل المعنوي والوصل اللفظي معا:

ترد بعض التراكيب القرآنية حاملة لعلاقات مفهومية وروابط لفظية؛ قصدا إلى تنويع أنماط الربط والارتباط وتقويتهما بين الأنساق اللغوية، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ (يونس: ٧١)

فوجه النصب في القراءة أقوى عند جمهور النحاة من المفسرين؛ لكنهم اختلفوا في معنى «الواو»، فقالوا: للمعية، بمعنى: «فأجمعوا أمركم مع شركائكم». وأجاز **الفراء** فيها العطف، بمعنى: «فأجمعوا أمركم، وادعوا شركاءكم»، وبناء على ذلك يكون الوصل اللفظي بين الجمل لا المفردات، وقد سوَّغ الحذف في الجملة المعطوفة المشاكلة بين العامل المضمر والعامل الظاهر[٦١].

ومن التوجيهات المسوغة لوجه النصب وعطف المفردات في الآية تأويل معنى الأمر على الكيد؛ لذلك صلُح عطف «شركاءكم» على «أمركم» مباشرة بدون حذف

للعامل، أو على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه محله، أي: «فأجمعوا أمركم، وأمر شركائكم»(٦٢).

أما **الزجاج** فأثبت خطأ تقدير معنى العطف في الرابط؛ لغياب الفائدة من الكلام مع العطف، فالمعنى للمعية، كقولك: "لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، المعنى لو تركت مع فصيلها لرضعها"(٦٣).

وقُرِئ: ﴿فَاجْمَعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ بمعنى الجمع، وهنا تحتمل «الواو» المعية والعطف، فيعرب ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ مفعولًا معه، أو مفعولًا به قياسا على قراءة أُبي: ﴿فَاجْمَعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَادعُوا شُرَكَآءَكُمْ﴾(٦٤).

وفي القراءة وجه الرفع للحسن: ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾، فـ «الواو» عطفته على ضمير الرفع المتصل بالفعل ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾. وقد ضعَّفه كل من **الفراء والأخفش**؛ لمجانفته شرط عطف الظاهر على المضمر بعد توكيده بضمير منفصل، ولأنَّه يضعف المعنى؛ فالآلهة لا تعمل ولا تجمع(٦٥).

لكن استحسنه **مكي بن أبي طالب والزمخشري**؛ لطول الكلام وقيام الفصل بالمفعول به «أمركم» مقام مؤكد الضمير (٦٦).

ومحصلة ما سبق، أن تعدُّد وجوه القراءة وتوجيهاتها في الآية دليل واضح على أن بنية الخطاب القرآني حمَّالة لكثير من المعاني، فالمعنى فرع للفظ الإعراب وعلاقاته التركيبية. كما أن وجه القراءة أفاد صلاحية وقوع عمل الفعل على الاسم المنصوب بعد «الواو» التي أدَّت وظيفة تركيبية في تأكيد الربط اللفظي بين المفعول معه والمفعول به الذي يخالفه في الوظيفة الإعرابية، ومن ثم تناسبت ألفاظ الآية نحويًّا ودلاليًّا عندما أكد الربطُ اللفظي بالعاطف الوصل المعنوي في التركيب القرآني. كما أثبتت بعض التوجيهات وعي النحاة المفسرين بعلاقات الربط والارتباط بين الجمل بالإضافة إلى اهتمامهم بعلاقاتهما السياقية والدلالية بين المفردات.

جـ) قطع الوصل اللفظي بالوصل المعنوي:

الجملة المعترِضة لا محلَّ لها من الإعراب، فهي لا ترتبط نحويًّا وشكليًّا بما قبلها أو ما بعدها من جمل في الخطاب؛ لكنها تتصل بها دلاليًّا، حيث جاءت لغرض أو لنكتة غير دفع الإيهام(٦٧)، والجملة التي تعترض الخطاب القرآني متفاوتة في كمها، كأن يقع الاعتراض بجملة واحدة، أو بجملتين، أو أكثر من جملة، فتمثل مقطعا نصيًّا تامَّ المعنى.

فمن شواهد الاعتراض بين الوظائف النحوية في الأساليب الإفصاحية قولُه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ۝٧٧﴾ (سورة الواقعة). اختلف النحاة المفسرون في عدد الجمل المعترضة بين القسم: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، والمقْسم عليه ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ على قولين:

- **أولهما، قول جمهور النحاة:** وقع الاعتراض بجملتين، جملة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ بين المقْسم به والمقْسم عليه، وجملة ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الصفة «عظيم» والموصوف «قسم»(٦٨).

- **ثانيهما، قول ابن عطية الأندلسي، والعكبري:** وقع الاعتراض بجملة واحدة ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته. أما جملة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ فهي تأكيد للقسم قبلها لمعنى قصد التهمُّم به(٦٩).

ومن الاعتراض بين الجمل في سياق القصص قوله: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ۝٢٠﴾ (سورة العنكبوت)، فالآية حكاية إبراهيم –عليه السلام– لقومه، مكونة من خمس جمل متصلة فيما بينها، وقد اعترضت خطابا كاملًا موجَّها لقُريش، حيث فسَّره الإمام **الزمخشري** بالنظر إلى السياقين اللغوي والمقامي، وجعل الغرض من ورود قصة إبراهيم التنفيس والتسلية والتفريج عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وكان الاعتراض بقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ۝١٨﴾

(سورة العنكبوت) على معنى إنكم -يا معشر قريش- إن تكذبوا محمداً؛ فقد كذب إبراهيم قومه، وكذب كلُّ أمة نبيَّها[٧٠].

ويلاحظ أنه بينما يقع الفصل بالجملة الواحدة أو الجملتين بين وظيفتين نحويتين في تركيب بسيط، يكون الفصل بأكثر من جملتين خطابا كاملاً يقتضي إعادة ذكر الوظيفة النحوية المتقدمة لإنعاش الذاكرة بها؛ خشية إضعاف وصلها اللفظي بوظيفة نحوية أخرى تعالقت معها في البنية التركيبية؛ ولذلك كان الاعتراض بين أجزاء الخطاب من صور الارتباط الدلالي لا من أنماط الربط النحوي الشكلي.

٢- غياب المطابقة بين روابط الإحالة ومراجعها:

البنية الإحالية إحدى بنيات الخطاب القرآني التي تُظْهِر تماسكه بعلاقات دلالية بين الرابط ومرجعه المفسر له. وأشهر الروابط التي تظهر خصوصية البنية الإحالية الضمائر، والمبهمات، كأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وهي متفاوتة في درجة تعريفها تبعا لعلاقتها بمفسراتها حضورا ومشاهدة، أو غيابا في مقام التواصل الاجتماعي باللغة. ولما كان الضمير عنصرا إحاليًّا دالًّا على ذات المتكلم أو المخاطب أو الغائب؛ فقد وضع له النظام النحوي شروطًا تركيبية، كمعاقبته ذاته المفسرة لمعناه في موقعه من التركيب، ومطابقته النوعية والعددية له، ولذلك وُظِّف الضمير في تماسك أنساق الجملة الواحدة أو الجملتين من خلال أنماط إحاليةَ عدة، كالإحالة النصية القبلية والبعدية، والإحالة المقامية التي لا تقل أهمية في فهم الدلالات الكامنة وراء بنية الخطاب الظاهرة.

وممَّا خالف الشروط التركيبية والدلالية للإحالة أنَّ مرجع الضمير قد لا يقع في بعض سياقات القرآن ذاتا مفردة -غير مركبة- بل يرد جملة، أو قصة، أو خطابا كاملاً، وقد أجاز **النحاة المفسرون** استعماله؛ إجراء له مجرى اسم الإشارة في الإحالة إلى كلام كثير، ومن شواهده القرآنية:

أ) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ

مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴿٣٦﴾﴾ (سورة المائدة)، فضمير الغيبة في قوله: ﴿لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ يحيل إحالة قبلية لمرجع غير ذات هو قوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾، فكأنه قيل: «ليفتدوا بذلك»، إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة[٧١].

ب) قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴿٤٦﴾﴾ (سورة الأنعام)، فالضمير في ﴿يَأۡتِيكُم بِهِۗ﴾ يحيل إلى أخذ الله سمعهم وأبصارهم والختم على قلوبهم، على تقدير «يأتيكم بذلك»؛ إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة [٧٢].

وقد وجَّه بعض النحاة استعمال الضمير مفردا بالبحث عن مرجع آخر مطابق له في النوع والعدد، كـ «السمع» وحده لذكره أولاً، أو السمع يدخل فيه القلوب والأبصار، أو «الهدى» المفهوم من معنى الضلال الذي سبَّب أخذ السمع والأبصار والختم على القلوب[٧٣].

جـ) قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴿١٣٧﴾﴾ (سورة الأنعام)، فالضمير في قوله: ﴿مَا فَعَلُوهُۖ﴾ مرجعه ما زيَّنه الشياطين أو سدنتهم من قتل أولادهم، وإردائهم، وتلبيس دينهم عليهم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ﴾، فضمير الغيبة محمول على اسم الإشارة في الإحالة إلى كلام كثير، وليس إلى اسم ذات دالة على الغائب[٧٤].

وبالإضافة إلى ذلك، أفرد **أبو حيان الأندلسي** مرجع ضمير الغيبة مراعاة للمطابقة بينهما، فقال: الضمير «للقتل»؛ لأنه مصرَّح به، أو «للتزيين» مستبعدا عوده على التلبيس[٧٥].

تثبت توجيهات النحاة السابقة أن الاستعمال اللغوي قد لا يوافق أحيانا معيارية القاعدة النحوية واطرادها في اشتراط المطابقة النوعية والعددية بين الضمير ومرجعه؛

لذلك تأوَّلوا المسألة ووجَّهوا معناها بالنظر إلى مفاهيم نصية وأصولية تقيس الفصائل النحوية بعضها على بعض في الربط الإحالي، حيث استبدلوا وظيفة رابط إحالي بعنصر آخر عند التأويل، وهو إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة الذي يحيل إلى جملة قرآنية، أو قصة، أو خطاب كامل داخل السورة الكريمة.

٣- اتحاد دلالة رابط الإحالة واختلاف صورته:

يقع الضمير دالًا على الغيبة، ثم يأتي على صورة المفرد، وصورة الجمع في سياق واحد، فيترتب عليه تعدد مرجعه ومفسره، وربما أوهم ذلك بتنافر النظم في البنية الإحالية، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ (سورة البقرة)، فمرجع الضمير في ﴿حَوْلَهُۥ﴾ إلى المنافقين، أو إلى ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ بالنظر إلى علاقة الجزء بالكل، ومعنى الجمعية فيه، فكان جمع الضمير وإفراده في كل من ﴿حوله، نورهم، تركهم، يبصرون، هم، يرجعون﴾ للحمل على اللفظ تارة، وعلى المعنى تارة أخرى(٧٦).

وربما تأتي روابط الإحالة متحدة الصورة ومختلفة الدلالات أو المراجع، وهذا نوع من الالتفات الدلالي في البنية الإحالية، يتطلب من المفسر مراعاة السياق والنظم القرآني في توجيه المعنى المناسب لكل رابط إحالي، كالضمائر في قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (سورة التوبة)، فضمير الغيبة «**هم**» تكرر ثلاث مرات بدلالتين مختلفتين، ومرجعه للمؤمنين في ﴿عَلَيْهِمْ، تُنَبِّئُهُم﴾، وللمنافقين في ﴿قُلُوبِهِمْ ۚ﴾، فالالتفات هنا دلالي خالص، لكن استند **الزمخشري** إلى وحدة موضوع الخطاب في السورة في جواز إرجاع الضمائر كلها إلى المنافقين، فالسورة نازلة في معناهم، ونازلة أيضا عليهم، وهذا التوجيه يوافق رأيه في رد الضمائر إلى مرجع واحد؛ تبعا لحاجات السياق وحرصا على انسجام النظم وعدم تنافره(٧٧).

ثانيا- توجيه أفعال الكلام في الخطاب القرآني:

أفعال الكلام Speech acts من مفاهيم النظرية التداولية في تحليل الخطاب ودراسة لغته على أساس وظيفتها الأدائية، فهي بديل لتقسيم معاني الكلام إلى خبر وإنشاء تبعا لمعيار الصدق والكذب، خاصة التراكيب اللغوية التي ظاهرها الخبر وباطنها الإنشاء، وبذلك أصبحت كلُّ جملة أو تركيب أو فقرة في النص -بقطع النظر عن خبريتها أو إنشائيتها- أفعالًا كلاميَّة ذات مستويات متداخلة في الأداء اللغوي هي: **فعل القول** «البنية الصوتية والنحوية الملفوظة» في البنية الظاهرة، **وفعل الإنجاز** «الغرض من فعل القول»، **وفعل التأثير** «تأثير فعل القول على المتلقي»، وربما أضافوا إلى ذلك مستوى رابعا هو **الفعل القضوي** «البعد الدلالي لفعل القول» في البنية العميقة (٧٨)، كقول يوسف -عليه السلام- لأخيه بنيامين: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ (يوسف: ٦٩) فعل قول، أنجز معنيين ذكرهما المفسرون على أساس أن الجملة إخبار له عن أُخوَّته ونسبه إليه، أو تخييره بأن يحلَّ هو محل أخيه المفقود، أما أثر ذلك على المتلقي فكان بذهاب روعه وخوفه بعد أن تركه إخوته مع الملك وحيدا، بدليل قوله: ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(٧٩).

عرض للمفسرين من النحاة بعض إشكالات أفعال الكلام، واستطاعوا توجيهها وحلها في ضوء المفاهيم النصية والتداولية، ومن ذلك على سبيل المثال:

١-اختلاف أفعال الكلام «تأويل تعاطف الخبر والإنشاء»:

تنقسم معاني الكلام إلى خبر وإنشاء، والمعيار الدلالي التداولي للتفرقة بينها هو احتمال الخبر للصدق والكذب، وعدم احتمال الإنشاء لهما. ولذلك كان التناسب شرطًا في ترابط الجمل بالعطف، فلا يجوز عطف الخبر على الإنشاء، ولا عطف الإنشاء على الخبر؛ لاختلاف أفعالهما في إنجاز المعاني ومقاصد الكلام. لكن وقع في القرآن الكريم ما يوهم جواز تعاطفهما، كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ (سورة البقرة)، وللنحاة في توجيه عدم التوافق الدلالي بين الجمل المتعاطفة مذهبان:

أ) عدم اشتراط تناسبهما في اللفظ والمعنى، فقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ جملة طلبية معطوفة على الجملة الخبرية في فاصلة الآية قبلها ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾. وهذا مذهب **أبي حيان الأندلسي** مدعيا جوازه عند **سيبويه**، ووافقه **السمين الحلبي**، و**الصفار**(٨٠).

وبالرجوع إلى نص الكتاب وجدت أن **سيبويه** لا يجيز عطف الخبر على الإنشاء، كـ "من عبد الله، وهذا زيد الرجلين الصالحين"(٨١).

ب) اشتراط تناسبهما، فلا يجوز عطف الخبر على الإنشاء، وكذلك العكس. وهذا مذهب جمهور النحاة المفسرين وغيرهم؛ لذلك تأوّل **الزجاج وعبد القاهر الجرجاني** العطف في الآيتين بالجمع بين الإنذار للكافرين وجزائهم، وبين التبشير بما أعد الله للمؤمنين لتصديقهم به(٨٢).

أمَّا **الزمخشري** فوجَّه معاني الجمل المتعاطفة على وجهين، **أولهما،** عطف ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على الأمر في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ مراعاة للفظ الإنشاء ومعناه. و**ثانيهما،** اعتبار عطف الكلام لا عطف الجمل، فخطاب وصف ثواب المؤمنين معطوف على خطاب وصف عقاب الكافرين، والجامع بينهما المقابلة واستحضار مقامين متناقضين لأحوال البشر مع دين الله، فرغم غياب التناسب اللفظي في البنية الظاهرة؛ فإن التناسب المعنوي كائن في البنية العميقة(٨٣).

ومع ذلك، خطّأه **أبو حيان** لعدم اشتراطه توافق معاني الجمل المتعاطفة، ولأنَّ المعطوف عليه ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ جواب شرط، فيه معنى الإنذار، والعطف يدخل المعطوف ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الدال على البشارة في معناه، وهذا غير ممكن، لأن البشارة غير الإنذار(٨٤).

ومهما يكن من أمر؛ فإن جمهور النحاة راعوا في تأويل التركيب البنية الكبرى لموضوع الخطاب، فتأولوها بما يدل على وعيهم بتناسق الأبنية اللغوية وتماسكها النصي، كما حملوا ظاهر الخبر على معنى الإنشاء في سياق الخطاب القرآني في قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف: ١٣)، حيث جاء عطف جملة الأمر: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على جملة الخبر: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ (الصف: ١١)، فهي في معنى الأمر، والتقدير: «آمنوا وجاهدوا»، والغرض من العدول عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر في المعطوف عليه "الإيذان بوجوب الامتثال، وكأنّه امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين"(٨٥).

ولهذا التأويل ظهير من **السماع** بقراءة ابن مسعود: ﴿آمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجَٰهِدُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ومن **القياس النحوي** بجزم المضارع في جواب الطلب ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ من وجهين: **أولهما**، وقوعه جواب شرط لمعنى الأمر في قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وللفظه في قراءة ابن مسعود. **وثانيهما**، وقوعه جواب شرط للاستفهام في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ (الصف: ١٠) على المعنى واللفظ معا عند **الفراء**(٨٦).

لكن خطأه كلٌّ من **الزجاج والعكبري**؛ لمجانفته سياق الآيات، فدلالة النبي إياهم لا توجب المغفرة لهم، وإنما يوجبها الإيمان والجهاد في سبيل الله(٨٧).

٢-وقوع الخبر بمعنى الإنشاء:

لكل خطاب لغوي قوته الإنجازية المتممة لبنيته الدلالية(٨٨)، غير أن درجاتها تتفاوت من خطاب إلى آخر، ويتوقف إدراكها على فهم المعاني الدلالية والتركيبية والمقامية ومسارات تفاعلها في تشكيل البنية الكبرى. والخطاب من منظور أفعال الكلام ينجز معاني الخبر والإنشاء، ولكل منها محددات لغوية وتداولية تصنفها إلى أفعال خبرية خالصة، وأخرى إنشائية محضة، وثالثة مشيج من الخبر والإنشاء. وإنه من

اليسير إدراك الصنفين الأول والثاني من بنية فعل القول الظاهرة؛ غير أن الصنف الثالث في حاجة إلى النظر في البنية العميقة للخطاب كاملاً، وليس الاقتصار عليه في حدود جملته النحوية الواحدة، وهذا ما أفدناه من تفسير الإمام **الزمخشري** للمثل القرآني في سورة (محمد): ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ١٥﴾ على النحو الآتي:

أ) **المثل القرآني خبري اللفظ إنشائي المعنى،** حيث بني على صورة الإثبات، ومعنى النفي والإنكار لدخوله ضمن فعل إنشائي أعم هو الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ١٤﴾، والمعنى: «أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار؟!».

ب) **ربط القوة الإنجازية لفعل الكلام بسياقيه اللغوي والمقامي،** فتقدير همزة الاستفهام مبني على قرينة ذكرها في الآية السابقة على آية المثل القرآني، أما معنى الإنكار فمفهوم من المقام ومقاصد الخطاب إلى زيادة تصوير المثل لمكابرة من يسوي بين جزاء من كان على بينة من ربه، وجزاء من زين له سوء عمله، وبين من يسوي بين الجنة وأنهارها والنار التي يسقى من فيها الحميم (٨٩).

وأضيف إلى ما ذكره الإمام -اجتهادا مني- **المرجعية الغائبة لإحالة مفردات أنهار الجنة،** فقد تحولت من مرجعياتها ومعانيها المعجمية المتعارف عليها في الدنيا إلى مرجعيات غائبة عن الذهن؛ فبينما يعدُّ ذِكْر الماء تقريبا لصورة غيبيَّة لأنهار الماء في الجنة، فلا تقريب لأنهار الجنة الأخرى من لبن وعسل وخمر في المثل القرآني. ويتسق ذلك الفهم مع إشارة النحاة المفسرين إلى «أنهار اللبن» بأنه لم تخرج ألبانها من ضروع الإبل أو الغنم برغوته، ولا يدخله ما يدخل ألبان الدنيا من التغيير، و«أنهار العسل» لا يخرج عسلها من بطون النحل ولا يخالطه الشمع وغيره، و«أنهار الخمر» لا غول فيها، فلا تُسكِر ولا تُفْني (٩٠).

ولعل تفسير المثل القرآني في ضوء المرجعيات الغائبة أوقع في بيان علة مجيء بنيته الكبرى خبرية اللفظ عن أمور غيبية، إنشائية المعنى لإنجاز أغراض الإنكار والتقرير والسخرية من هؤلاء المكابرين الذين فضَّلوا عرض الدنيا وعذاب النار على نعيم الجنة في الآخرة.

ثالثًا- توجيه البنية الدلالية في الخطاب القرآني:

من المقومات الرئيسة للخطاب اللغوي ما يميزه **بالشمولية** التي هي أمارة على بنيته الكبرى، و**التحويلات** الصادرة عن فرضية استقلال البنيات الصغرى وعدم ثبات نظامها اللغوي داخل البنية الكبرى، ثم **الضبط الذاتي** لضمان الصحة اللغوية والانتظام في أثناء تحويل الأبنية وتداخلها(٩١)، لكن عند غياب تلك المقومات تفقد بنية الخطاب سمة النصية، وبالتالي يسعى المفسر إلى تأويلها والكشف عن المقاصد المقتضية لمجيئها على نظم معين وبنية محددة.

١- إعادة ترتيب أبنية الخطاب القرآني:

هذا الإجراء مبني على إمكانية إعادة المفسر ترتيب الخطاب القرآني، وغايته من ذلك فهم المعنى الدلالي له والمقصود منه. وترتيب مكونات الخطاب في ظاهره معياري في النظام النحوي، حيث يتحدَّد من خلاله موقع الكلمة ووظيفتها النحوية في التركيب اللغوي، غير أن ثمة نوعا من الترتيب ذَا طابع تداولي يراعى فيه ترتيب المعاني والدلالات والمقاصد المرتبطة بمقامات الخطاب، وهو يمتاز بالحرية والتوسع في الاستعمال، ويتطلب إعمال الذهن في إدراك علاقاتها السياقية، كما يبدو من نتائج التحليل النصي الآتية عند النحاة والمفسرين:

أ) الترتيب الدلالي ليس معياريًّا إلا من جهة الصحة النحوية فقط، فهو لا يأخذ نمطًا ثابتا حسب مقتضيات السياق وملابساته، ومن شواهده الموازنة بين رتبة المعاطيف، حيث تقديم محمد -صلى الله عليه وسلم- على الأنبياء لمنزلته وفضله عليهم وكثرة أتباعه في (سورة الأحزاب): ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾.

ثم كان تقديم نوح –عليه السلام– على محمد –صلى الله عليه وسلم– في سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴿١٣﴾﴾؛ لأن مورد الخطاب وغرضه وصف الإسلام بالأصالة من لدن نوح –عليه السلام– حتى محمد –صلى الله عليه وسلم– خاتم الأنبياء(٩٢).

ب) نمط ترتيب الخطاب بيانٌ لتماسك نظم القرآن المعجز وبنيته الدلالية، كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴿٢﴾﴾ (سورة البقرة) فللوقف والابتداء أثرهما في تحديد كمِ الجمل النحوية المكونة للبنية الكلية، وتعدد الوجوه الإعرابية لوظائفها النحوية؛ ولذلك جاءت البنية منسجمة من غير حروف نسق؛ فجملها متآخية وآخذ بعضها بعنق بعض(٩٣).

فقوله: ﴿الٓمٓ﴾ جملة مستقلة، تحتمل أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره «هذه آلَم»، أو مفعولاً به بإضمار فعل، أو مقسم به مجرور بإضمار حرف القسم.

وقوله: ﴿الٓمٓ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ جملة ثانية، فـ ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ، خبره الجملة الصغرى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، أو الجملة الكبرى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ جملة ثالثة، فـ ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ خبر لاسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾، والجملة الكبرى خبر ﴿الٓمٓ﴾.

وقوله: ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴿٢﴾﴾ جملة رابعة، فـ «هدى» مبتدأ، خبره «فيه»، أو خبره محذوف دل عليه خبر «لا» نافية للجنس «فيه». ويجوز إعرابه خبرا، مبتدؤه محذوف، أي: «هو هدى»، أو اسم الإشارة «ذلك».

وقد استحسن **السمين الحلبي** من تلك الوجوه كون كل جملة مستقلة بنفسها، معولاً على مبدأ نصي هو شدة التماسك بينها؛ فإنه لمَّا قوي الوصل بين الجمل تُرِك العاطف بوصفه مانعا لها من التجاور (٩٤).

ومن أنماط ترتيب الخطاب الدالة على تماسك نظم القرآن المعجز قولُه تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ۝٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ۝٥٩﴾ (سورة الزمر).

حيث فصل بين قوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾، وجوابه: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ۝٥٩﴾، والأصل تعاقبهما؛ لكن عدل عن أصل الترتيب لسببين هما:

- **مراعاة اتصال قرائن الحسرة وقوة تماسك بنياتها**، وهي التفريط، والتعلل بفقدان الهداية، ثم تمنى الرَّجعة.

- **مراعاة توافق ترتيب الآيات ونظمها** في البنية الظاهرة مع ترتيب أقوال النفس في البنية العميقة [٩٥].

جـ) تأويل الترتيب بالنظر إلى سياق جهة الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ (النور: ٢). وقوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ۝٣﴾ (النور: ٣).

فسَّر **أبو زكريا الفراء** النكاح بالوطء، وليس بالزواج؛ فسياق الآية وسبب نزولها يعضد ذلك المعنى عنده، ويشي ذلك بأن تقديم الزاني على الزانية كان لأنه الراغب في الزواج منها، والإيواء إليها، والإصابة من طعامها، فحرِم عليه ذلك بقوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٩٦].

ويستبعد **الزجاج** ذلك التفسير؛ لأنَّ النكاح لم يعرف في كتاب الله إلا على معنى التزويج[٩٧].

لكن قارن **الزمخشري** بين تقديم الزانية على الزاني في كبيرة الزنا؛ لكونها مادة الجناية والإثارة بإطماع الرجل فيها، وتمكينه منها- وبين تأخيرها عن الزاني في النكاح؛ لأن الرجل أصل فيه، فمنه الطلب، وهو الراغب الخاطب لها(٩٨).

وهكذا نجد المفسرين من النحاة يلجئون في تحليل رتبة الخطاب القرآني إلى بيان خصائص نظمه المعجز، أو للكشف عن اختلاف المعاني باختلاف ترتيب الألفاظ، أو لتأكيده على أهمية السياق وملابساته في انتفاء نمط ترتيب مكونات الخطاب القرآني، فهم يصدرون عن وعي ببنية النص الكلية وتماسكها شكلاً ودلالة.

٢- بنيتَا الخطاب القرآني الظاهرة والعميقة:

تحدد البنية العميقة معنى الخطاب اللغوي، وتفسر ما يعتري بنيته الظاهرة من عوارض تركيبية، كالتقديم والتأخير، أو الحذف والزيادة، أو الإثبات والنفي لعناصره اللغوية، وذلك من خلال قواعد إجبارية وأخرى اختيارية تحكم آلية التحوُّل من عمق النص إلى سطحه. وثنائية البنية العميقة والبنية الظاهرة بعدّ أصيل في نظرية النحو التحويلي، حيث بُحِثَتْ من جانبها الشكلي فقط، ثم طورتها النظريات الوظيفية -كنظرية السياق، ونظرية النَص، ونظرية تحليل الخطاب، والنظرية التداولية- فعنيت بالشكل والدلالة، وعلاقات ما وراء الجمل، والاستمرارية البنيوية للنص، وبنيته الدلالية الكبرى(٩٩).

وبناء على ذلك، يبدأ عمل المفسر في تحليل الخطاب من بنيته الظاهرة حتى ينتهي إلى المعاني والدلالات في بنيته العميقة؛ فهو على قناعة بأن الملفوظ لا يمده بوصف دقيق للعلاقات السياقية بين مكونات الخطاب، والاعتماد عليه وحده دون المفهوم يوقع في مظنة اللبس وعدم الفهم، وهذا الإجراء السلبي ضد النظام اللغوي القائم على توفيق العلاقة بين بنيتيهما في الخطاب اللغوي. ولقد وفّق النحاة المفسرون في تجليتها في أثناء تفسير القرآن الكريم، وتعليل مجيئه مفصلاً ومقطعا إلى سور، فالتفصيل سبب في تتابع الأشكال والنظائر والملاءمة فيما بينها، فيكون به معرفة المعاني وتجاوب النظم معها، على حد قول **الزمخشري**(١٠٠).

فالأجناس الثلاثة من المخلوقات في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾ (سورة النور)- مرتبة عند **أبي زكريا الفراء** على أساس علاقة الخصوص بالعموم في قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ﴾، ثم علاقة اسم الموصول «من» للعاقل مع صلة غير العاقل «يمشي على بطنه، ويمشي على أربع» بمرجعه «كل دابَّة»، فأدخل في ذلك الحكم العقلاء وغير العقلاء، ثم كنَّى عن البهائم بالعقلاء لمخالطتهم الناس(١٠١).

ويعلل **الزمخشري** ترتيب تلك الأجناس، بتقديم أعرقها في القدرة، وهو الماشي على بطنه، ثم ثنَّى بالماشي على رجلين، ثم ثلَّث بالماشي على أربع(١٠٢).

فالبنية الظاهرة للآية تتفرع تركيبيًّا بالعطف، وباستقصاء جميع حالات المشي لدى كل الدَّوابِّ التي خلقها الله من ماء، وفي مقابل ذلك نجد تفريعا دلاليًّا في البنية العميقة يعتمد على الأقدمية والعراقة، وليس على الشرف والتكريم، وإلا كان تقديم من يمشي على رجلين كالإنسان، فالترتيب لا علاقة له بالنظام اللغوي إلا من ناحية الصحة اللغوية، وبينما نجد بنية الخطاب الظاهرة معيارية حسب قواعد النظام الصوتي والصرفي والنحوي للغة؛ تؤكد البنية العميقة أنها ذات أبعاد دلالية وتداولية مقتضية لأغراض سياقية ملابِسة للخطاب ذاته.

٣- التوجيه الأيديولوجي لدلالة الخطاب القرآني:

بنية الخطاب القرآني المعجز حمَّالة لوجوه كثيرة من المعاني والدلالات، وهو ما ترك أثره في تفسير مضامينه على أساس المذهب والمعتقد الفكري عند بعض المفسرين، أمثال الإمام **الزمخشري** الذي تبنَّى فكر المعتزلة وطبَّقه على محكم الآيات ومتشابهها، فالمحكم عنده ما وافق ظاهر بنيته مذهبه الاعتقادي، والمتشابه ما خالف ذلك فردَّه إلى المحكم عملًا بأصول الاعتزال الخمسة المعروفة «التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وفيما يأتي عرض موجز لبعضٍ منها:

أ) توجيه دلالة الخطاب على معنى نفي رؤية المؤمنين لله -عز وجل- يوم القيامة عملاً بأصل «التوحيد» عند المعتزلة، فهم يخالفون عقيدة أهل السنة والجماعة في إثباتها بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ (الأعراف: ١٤٣). ويعتمد الإمام **الزمخشري** في توجيه طلب موسى -عليه السلام- رؤية ربه على أمرين:

- **الأول، الدلالة التداولية** لأداة النفي «لَن»، فهي لتأكيد نفي الرؤية وتأبيدها في المستقبل.

- **والثاني، التناص**، فقد استظهر لمذهبه العقدي بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ (الحج: ٧٣)، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ١٠٣﴾ (سورة الأنعام)، وانتهي في تفسيره إلى أنه نفي للرؤية في المستقبل، وقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ تأكيد وبيان؛ لأن المنفي منافٍ لصفاته(١٠٣).

ونقل **أبو حيان الأندلسي** الخلاف العقدي بين المعتزلة والأشاعرة وأهل السنة والجماعة في توجيه معنى الآية، فرؤية الله عندهم جائزة من جهة العقل، فما دام الله موجودا فقد صحَّت رؤيته، وجائزة من جهة النقل؛ لذا قررت نصوص الشريعة رؤيته في الآخرة، ومنعت ذلك في الدنيا، فموسى -عليه السلام- لم يسأل ربه محالاً وإنما طلب ما هو جائز. وبناء على هذا التفسير العقدي قدر المفسرون محذوفاً قيَّد نفي الرؤية، نحو «لن تراني في الدنيا» أو «لكن ستراني حين أتجلى للجبل» أو «لن تراني بسؤالك» أو «لن تقدر أن تراني»(١٠٤).

ب) توجيه دلالة الخطاب على تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم؛ عملاً بأصل «التوحيد» عند المعتزلة، حيث وجه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ (الفتح: ١٠) على حذف مضاف؛ أي: «يد رسول الله فوق أيديهم»، فيد رسول الله التي علَت أيدي الذين بايعوا هي يد الله -تعالى- تأكيد وتَقرير لعقد الميثاق

مع رسول الله، فالله –تعالى– قد تنزَّه عن الجوارح، وعن صفات الأجسام (١٠٥).

لكن تأوَّل **الجمهور** قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ على المجاز لا الحقيقة، فهي كناية عن نعمة الله في المبايعة أو قوة الله فيها(١٠٦).

كما قيَّد **الزجاج والنحاس** مركب الإضافة ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ بعلاقة الملابسة الدالة على أحوال محددة مأخوذة من سياق الآية، فهي محتملة لثلاثة أوجه، في الوفاء، أو في الثواب، أو المنَّة عليهم بالهداية(١٠٧).

جـ) توجيه دلالة الخطاب على معنى نفي ثبوت الشفاعة للتائبين من المؤمنين دون غيرهم؛ عملاً بأصل «الوعد والوعيد» عند المعتزلة، وبناء على ذلك المعنى وجه **الزمخشري** مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴿٤٨﴾﴾ (سورة البقرة) على وجهين، **الأول**، عوده على النفس الثانية العاصية غير المجزِي عنها التي لا يؤخذ منها عدل. **والثاني**، عوده على النفس الأولى؛ إذ لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، كما لا تجزي عنها شيئًا، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها(١٠٨).

ومرجع تعدُّد التوجيه من جهة النظم إلى العدول من الإحالة الضميرية إلى الإحالة المعجمية التكرارية، فلو كانت النفس واحدة، لقيل: «واتَّقوا يوما لا تجزي نفس عنها شيئًا». ومثله قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴿٢٦﴾﴾ (سورة آل عمران)، فالملك الأول لله أزلي، والملك الثاني هبة من الله، أما الملك الثالث فمنزوع منه سبحانه، ومن ثمَّ التزم في النمط الإحالي للآيتين الأصل في الإحالة بوقوع الاسم الظاهر موقع الضمير؛ لعدم الثقة بفهم السامع على حد قول البلاغيين(١٠٩).

د) توجيه دلالة الخطاب على منزلة مرتكب الكبيرة عملاً بأصل «المنزلة بين المنزلتين» عند المعتزلة، ويظهر ذلك اختلاف جهة الخطاب القرآني ببنية لغوية واحدة في مقامين مختلفين، كقوله تعالى في (سورة التحريم): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ

أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴿٦﴾»، وقوله في (سورة البقرة): «فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴿٢٤﴾».

جعل **الزمخشري** جهة الخطاب في آية التحريم عن الفساق المساكنين للكفار في النار، وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار، ثم خوطب الذين آمنوا عامة بالتَّوقي من الفسوق، ومساكنة الكفار من النار، أو بالتَّوقي من الارتداد عن الإسلام، أو خُوطب به المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم[١١٠]. وفحوى تفسيره للآية أنه يرى مرتكب الكبيرة فاسقا، وهو في منزلة بين الإيمان والكفر، فإما أن يتوب عن الكبيرة ويُخلَّد في الجنة مؤمنا، وإما أن يبقى عليها فيخلد في النار كافرا.

أكتفي بتلك الشواهد أدلةً على توجيه دلالات الخطاب القرآني توجيها أيديولوجيًّا على أساس المعتقد والمذهب الفكري، وأخلص منها إلى عدة أمور متعلقة بالمفاهيم النصية التي ظهر أثرها في تفسير القرآن الكريم، وتأويل ما بدا مشكلًا فيه من جهة اللفظ والدلالة:

– قد لا تعطينا بنية المنطوق في الخطاب القرآني وصفًا دقيقًا للمفاهيم والقضايا التي تنقلها إلى المخاطب، فنلجأ إلى بنية المفهوم المتضمنة للمعاني والدلالات حتى ندرك المراد من البنية الكبرى لذلك الخطاب المعجز.

– تعدُّد تأويلات الخطاب القرآني وتفسيراته بتعدُّد مناهجه وأدواته، كما يتأثر بالمرجعية الثقافية والفكرية عند المفسر.

– المفاهيم النصية جزء من بنية الخطاب القرآني، وليست مقحمة عليه من خارجه؛ إذ إنه يفسر بعضه بعضا، ويأخذ بعضه بحجز بعض، فيتحقق فيه مبدأ النصية بالربط والترابط بين آياته وسوره، ومبدأ التناص عن طريق التوازي التركيبي والدلالي لمتشابهاته اللفظية أو بموازنة نصوصه الكريمة بنصوص قرآنية أخرى من داخله أو من خارجه، كنصوص السنة النبوية المشرفة.

خاتمة

انتهت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- زاوج النحاة المفسرون في تفسيرهم القرآن الكريم بين معطيات الجملة، ومعطيات التحليل النصي، حيث لجئوا للأخيرة منهما في توجيه الخطاب القرآني ودلالاته في حال عجز الأولى.

٢- تعدُّد اتجاهات تحليل الخطاب القرآني عند النحاة؛ لوعيهم بالمفاهيم النصية التي عنوا بتطبيقها وليس بتنظيرها، والتركيز على الوظيفة التداولية والأدائية للغته المعجزة.

٣- استطاع النحاة أن يطلعونا على خصوصية البنية الإحالية في النظم القرآني من حيث غياب المطابقة بين العناصر الإحالية ومراجعها، واتحاد صورتها النحوية واختلاف دلالاتها، أو اتحاد دلالاتها واختلاف صورتها.

٤- تمكن النحاة من توجيه تراكيب الخبر والإنشاء في ضوء مفاهيم تداولية تتفق مع مقولات نظرية أفعال الكلام.

٥- راعى النحاة تطبيق المفاهيم النصية في توجيه البنية الدلالية للقرآن الكريم، كترتيب أبنيته الظاهرة والعميقة، وتوجيه دلالاته توجيها أيديولوجيًّا على أساس المعتقد والمذهب الفكري.

٦- كتب معاني القرآن وإعرابه، والتفاسير المتنوعة في تراثنا نواة لدراسات نصية حول القرآن ذات اتجاهات فكرية عديدة، ومداخل تحليلية ثرية.

* * *

▪ الهوامش:

١) انظر: فولفجانج هانيه من، وزميله: **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ص (٢٥)، ود. سعد مصلوح، **نحو آجرومية للنص الشعري**، ص (١٥٤).

٢) روبرت دي بو جراند: **النص والخطاب والإجراء**، ص (١٠٤).

٣) **درج الدُّرر في تفسير الآيِ والسُّور** (١/ ١٥٦).

٤) **تفسير الكشاف** (١/ ٦٤).

٥) **التبيان في إعراب القرآن** (١/ ٦٤).

٦) **تفسير البحر المحيط** (١/ ٣٦٥).

٧) وضع **فان دايك** شروطًا لربط الجمل ترجع إلى الدلالات السمناتيكية وليس العلاقات النحوية، كوجود علاقة بين دلالات ألفاظ الجمل، وتعلق الرابط بقيم مرجع واحد، وتجانس موضوع الخطاب، انظر: **النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ص (٧٥ – ٧٩).

٨) انظر: **تفسير الكشاف** (٣/ ١٠٥٧).

٩) انظر: **تفسير البحر المحيط** (٧/ ٤١٥–٤١٦)، انظر: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (٩/ ٤٣٣).

١٠) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب** (٢٦/ ٤٥٧).

١١) انظر أبا جعفر النحاس: **معاني القرآن** (٣/ ٤٧٨ – ٤٧٩)، والفيروزآبادي: **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، ص (٢٦٢).

١٢) انظر: **معاني القرآن** (٢/ ٦٠).

١٣) انظر: **تفسير الكشاف** (٢/ ٥٦٣)، **والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** (٢/ ٢٨).

١٤) انظر: **تفسير البحر المحيط** (٥/ ٣٦٥)، **والدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (٧/ ٣٠).

١٥) انظر: **التبيان في إعراب القرآن** (٢/ ٧٥٤).

١٦) انظر: **معاني القرآن وإعرابه** (٣/ ١٤٢).

١٧) **المرجع السابق** (٢/ ٣٥١).

١٨) **تفسير البحر المحيط** (٥/ ١٦٥–١٦٦)، وانظر: **الكتاب** (٣/ ٦٤، ١١٤)، **وأمالي ابن الحاجب** (٢/ ٨٦٦). وقد استحسن أبو البقاء العكبري حذف الفاء من الجزاء مع وقوع فعل الشرط بلفظ الماضي، **التبيان في إعراب القرآن** (١/ ٥٣٦).

١٩) انظر: **المفصل في صنعة الإعراب**، ص (٤٤٠).
٢٠) انظر: **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** (١/ ٢٩٥).
٢١) انظر: الحديث رقم [٢٤٣٧] من **صحيح البخاري الجامع الصحيح** (٣/ ١٢٦).
٢٢) **النص والخطاب والإجراء**، ص (١٠٣).
٢٣) **دلائل الإعجاز**، ص (٣٦٤).
٢٤) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** (١/ ١٦٣)، وانظر: **دلائل الإعجاز**، ص (٤٣ – ٤٥).
٢٥) **تفسير الكشاف** (١/ ١٣٧)، وانظر: **تفسير البحر المحيط** (٢/ ٢٩١)، **والدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (٢/ ٥٤٦).
٢٦) انظر بتصرف: **تفسير الكشاف** (١/ ٧٠).
٢٧) **تفسير البحر المحيط** (١/ ٤٢٤).
٢٨) **مفاتيح الغيب** (٣/ ٥٥١).
٢٩) ينظر: جراهام ألين، **التناص**، ص (٢٠، ٢٣)، وروبرت دي بو جراند، **النص والخطاب والإجراء** ص (١٠٤).
٣٠) **البرهان في علوم القرآن، ص** (٤٣٢).
٣١) **تفسير الكشاف** (٢/ ٥٧٥)، وانظر الفراء: **معاني القرآن** (٢/ ٩٨-٦٩)، وعبد القاهر الجرجاني: **درج الدُّرر في تفسير الآي والسُّور** (١/ ١٥٢).
٣٢) انظر: **معاني القرآن وإعرابه** (١/ ١٣٠)، وقراءة التخفيف لابن محيصن في: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (٧/ ٧١).
٣٣) **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، ص (٧٢).
٣٤) **تفسير الكشاف** (١/ ٣٩٣-٣٩٤).
٣٥) انظر مرتبا: **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، ص (٧٣)، **ومفاتيح الغيب** (١٥/ ٣٨٩).
٣٦) انظر الفراء: **معاني القرآن** (١/ ٢٣-٢٤)، والزجاج: **معاني القرآن وإعرابه** (١/ ١٠٧)، والنحاس: **إعراب القرآن، ص** (٣١)، وعبد القاهر: **درج الدرر في تفسير الآي والسور** (١/ ١٢٧)، والعكبري: **التبيان في إعراب القرآن** (١/ ٤٥).
٣٧) انظر: **معاني القرآن** (١/ ٦١)، **وتفسير البحر المحيط** (١/ ٢٧٥).
٣٨) انظر بتصرف: **تفسير الكشاف** (١/ ٥٦).
٣٩) انظر الفراء: **معاني القرآن** (٢/ ٣٥٨)، والزجاج: **معاني القرآن وإعرابه** (٤/ ٣٤٨)،

والسمين الحلبي: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (٩/ ١٧٠-١٧١).
٤٠) انظر الوجه اللغوي في: **معاني القرآن** (٢/ ٣٥٨)، **وإعراب القرآن، ص** (٧٨٨). والوجه القرائي في: **تفسير البحر المحيط** (٧/ ٢٥٩).
٤١) انظر: **تفسير الكشاف** (٣/ ٩٦٧).
٤٢) انظر: **المرجع السابق** (٣/ ٨٨٠).
٤٣) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (٢/ ٢٣٢). وهذا شاهد على الحذف فسر سيبويه نظائره بأنه من أنماط الحذف المراد بها الاختصار وسعة الكلام؛ ولذلك اختلف النحاة في فهم مراده أيكون التقدير تفسيرا نحويًّا صناعيًّا أم تفسيرا دلاليًّا. انظر: **الكتاب** (١/ ٢١٢).
٤٤) **البرهان في علوم القرآن**، ص (٧٠٣).
٤٥) **دلائل الإعجاز**، ص (٤١٢- ٤١٣).

تحدد علاقة المبدع والمتلقي بالنص مرحلتي إنتاجه وفهمه أو تفسيره، وكلتاهما تتضمن ثلاث عمليات انتقائية – كما يرى ليفلت Levelt وأحمد المتوكل –: انتقاء الغرض التواصلي، وانتقاء المعنى الدلالي، ثم انتقاء الصورة الصوتية والنحوية المناسبة لهما، وبهذا الترتيب يكون إنتاج النص، أما إذا عكس مسارها بالانتقال من البنية الظاهرة إلى البنية العميقة فيكون فهم النص وتفسيره. ينظر: **الوظيفة بينَ الكلية والنمطية**، ص (٣٢، ٥٥، ٥٦).
٤٦) انظر بتصرف: د. صبحي الطعان، **بنية النص الكبرى**، ص (٤٣١، ٤٣٩).
٤٧) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (٣/ ٣٧١). القاعدة الكلية لمعرفة المناسبة هي: تحديد «الغرض» من السورة أو أسباب النزول، ومراتب «المقدمات» قربا وبعدا من الغرض المطلوب، واستشراف النفس للأحكام واللوازم المترتبة عليها. انظر: (٣/ ٣٧٦).
٤٨) **تفسير الكشاف** (١/ ٧)، (٢/ ٥٩٧)، وانظر اختلاف المفسرين في المراد بالسبع المثاني، وأسباب تسميتها بذلك على خمسة أقوال في: **مفاتيح الغيب** (١٩/ ١٥٩ – ١٦٠).
٤٩) انظر: **تفسير الكشاف** (٣/ ٧٧٩)، وانظر: **تفسير البحر المحيط** (٦/ ٣٦٥).
٥٠) انظر الكرماني: **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، ص (٢٣٢)، والزركشي: **البرهان في علوم القرآن، ص** (١١٨).
٥١) **تفسير الكشاف** (٤/ ١٢١٩)، وانظر: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (١٠/ ٢٣٥).
٥٢) انظر فرانسواز أرمينكو: **المقاربة التداولية**، ص (٨).
٥٣) فان دايك: **النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ص (٢٧٥).
٥٤) انظر: **تفسير الكشاف** (٢/٧٠٠).

٥٥) جون كوين، **بناء لغة الشعر**، ص (١٨٩ – ١٩٠).
٥٦) انظر النحاس: **إعراب القرآن، ص** (١٠٧٣)، والعكبري: **التبيان في إعراب القرآن** (٢/ ١١٩٧)، والزمخشري: **تفسير الكشاف** (٤/ ١٢٠٦)، والسمين الحلبي: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (١٠/ ١٥٣).
٥٧) **التبيان في إعراب القرآن** (٢/ ١١٩٧).
٥٨) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (١٠/ ١٥٤).
٥٩) انظر: **معاني القرآن وإعرابه** (٥/ ٩٦)، **ودرج الدرر في تفسير الآي والسور** (٢/ ٦٠٦).
٦٠) انظر: **تفسير الكشاف** (٤/ ١٢٠٦).
٦١) **معاني القرآن** (١/ ٤٧٣)
٦٢) انظر مكي بن أبي طالب: **مشكل إعراب القرآن** (١/ ٣٤٩)، والعكبري: **التبيان في إعراب القرآن** (٢/ ٦٨١)، وأبا حيان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط** (٥/ ١٧٧-١٧٨)
٦٣) **معاني القرآن وإعرابه** (٣/ ٢٧- ٢٨).
٦٤) **تفسير الكشاف** (٢/ ٤٨٦)، وجاءت قراءة أُبي بلفظ: ﴿ادعوا شَركاءكَم ثم اجْمعُوا أَمركَم﴾ انظر: **المحتسب في شواذ القراءات** (١/ ٤٣٤).
٦٥) انظر مرتبا: **معاني القرآن** (١/ ٤٧٣)، **ومعاني القرآن** (١/ ٣٧٦)
٦٦) انظر مرتبا: **مشكل إعراب القرآن** (١/ ٣٥٠)، **وتفسير الكشاف** (٢/ ٤٨٦).
٦٧) **تفسير الكشاف** (٣/ ٩٠٠)، وانظر: **الإتقان في علوم القرآن** (٣/ ٢٥٣).
٦٨) انظر: **تفسير الكشاف** (٤/ ١٢١٧)، **وتفسير البحر المحيط** (٨/ ٢١٣)، **والدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (١٠/ ٢٢٣-٢٢٤).
٦٩) انظر مرتبا: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (٥/ ٢٥١). **والتبيان في إعراب القرآن** (٢/ ١٢٠٦).
٧٠) **تفسير الكشاف** (٣/ ٨٩٩-٩٠٠).
٧١) **المرجع السابق** (١/ ٢٨٨)، وانظر: **مفاتيح الغيب** (١١/ ٣٥٠).
٧٢) **تفسير الكشاف** (١/ ٣٢٧).
٧٣) انظر: **التبيان في إعراب القرآن** (١/ ٤٩٧)، **وتفسير البحر المحيط** (٤/ ١٣٥).
٧٤) **تفسير الكشاف** (١/ ٣٤٧).
٧٥) **تفسير البحر المحيط** (٤/ ٢٣٣).
٧٦) **تفسير الكشاف** (١/ ٣٥-٣٦).

٧٧) **المرجع السابق** (٢/ ٤٥١)، (٢/ ٧٠٥).

قسم د. تمام حسان الالتفات حسب صورة الضمير ودلالة المرجع إلى ثلاثة أنواع: التفات دلالي خالص تتحد فيه الصورة ويختلف المرجع، والتفات نحوي خالص تختلف فيه الصورة ويتحد المرجع، والتفات نحوي دلالي تختلف فيه الصورة والمرجع. انظر: **البيان في روائع القرآن** (٢/ ٩٩).

٧٨) انظر: جون أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة** (١١٥– ١٢٨)، **والمقاربة التداولية** (٦١).

٧٩) **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص (٥٥٤)، **وتفسير الكشاف** (٢/ ٥٤٩)، **وتفسير البحر المحيط** (٥/ ٣٢٥).

٨٠) انظر مرتبا: **تفسير البحر المحيط** (١/ ٢٥٢–٢٥٣)، **والدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (١/ ٢٠٨)، **ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب** (٦٢٧–٦٣٠).

٨١) **الكتاب** (٢/ ٦٠)

٨٢) **معاني القرآن وإعرابه** (١/ ١٠١)، **ودرج الدرر في تفسير الآي والسور** (١/ ١٢٣).

٨٣) **الكشاف** (١/ ٤٨).

٨٤) **تفسير البحر المحيط** (١/ ٢٥٣).

٨٥) انظر: **تفسير الكشاف** (٤/ ١٢٤٥)، **ومفاتيح الغيب** (٢٩/ ٥٣٢)، **ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب** (٦٢٨ – ٦٢٩).

٨٦) انظر الفراء: **معاني القرآن** (٣/ ١٥٤).

٨٧) انظر: **معاني القرآن وإعرابه** (٥/ ١٦٦)، **والتبيان في إعراب القرآن** (٢/ ١٢٢١).

٨٨) يشير مفهوم القوى الإنجازية في نظرية الأفعال الكلامية إلى تعدد أنماط فعل القول التي تنجز غرضا واحدا، كالتعبير عن غرض "الالتماس" بجمل طلبية، كالأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني. وبينما كانت قوة الفعل جزءا من الغرض الإنجازي عند أوستين؛ يرى سيرل أن الغرض جزء من قوته الإنجازية، ومن ثم تعد القوة والغرض أو المعنى تسميتين لفعل واحد لا لفعلين مختلفين، ولا يمكن الفصل بينهما لارتباطهما بالسياقين اللغوي والمقامي. انظر: د. محمد العبد، **النص والخطاب والاتصال**، ص (٢٩٣ – ٢٩٤).

٨٩) **تفسير الكشاف** (٤/ ١١٤٩).

٩٠) انظر الفراء: **معاني القرآن** (٣/ ٦٠)، والزجاج: **معاني القرآن وإعرابه** (٥/ ٩)، والنحاس: **معاني القرآن** (٦/ ٤٧٤).

٩١) جان بيجه: **البنيوية**، ص (٨)، وانظر: **بنية النص الكبرى**، ص (٤٣١).

٩٢) انظر: **تفسير الكشاف** (٣/ ١٠٩٨)، **وتفسير البحر المحيط** (٧/ ٤٨٩–٤٩٠).

٩٣) **تفسير الكشاف** (١/ ١٨-١٩)، وانظر تحليله في مواضع أخرى (١/ ٤٥، ٢٦٩)
٩٤) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (١/ ٨٩). وانظر في تلك الوجوه عند النحاس: **إعراب القرآن، ص** (١٦ – ١٧)، والعكبري: **التبيان في إعراب القرآن** (١/ ١٤-١٦).
٩٥) انظر: **تفسير الكشاف** (٣/ ١٠٥٨-١٠٥٩)، **وتفسير البحر المحيط** (٧/ ٤١٧).
٩٦) **معاني القرآن** (٢/ ٢٤٥).
٩٧) **معاني القرآن وإعرابه** (٤/ ٢٩).
٩٨) **تفسير الكشاف** (٣/ ٧٨١-٧٨٢).
٩٩) انظر تفصيل ذلك: جون ليونز، **نظرية تشومسكي اللغوية**، ص (٨٧ – ١٠١).
١٠٠) **تفسير الكشاف** (١/ ٤٥).
١٠١) **معاني القرآن** (٢/ ٢٥٧).
١٠٢) **تفسير الكشاف** (٣/ ٧٩٨).
١٠٣) **المرجع السابق** (١/ ٣٨٥-٣٨٦).
١٠٤) **تفسير البحر المحيط** (٤/ ٣٨٤). وانظر: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص** (٤١٢).
١٠٥) **المرجع السابق** (٤/ ١١٥٦).
١٠٦) **تفسير البحر المحيط** (٨/ ٩٢)، **والدر المصون في علوم الكتاب المكنون** (٩/ ٧١١).
١٠٧) انظر مرتبا: **معاني القرآن وإعرابه** (٥/ ٢٢)، **ومعاني القرآن** (٦/ ٥٠١ – ٥٠٢).
١٠٨) **تفسير الكشاف** (١/ ٦٢).
١٠٩) انظر: **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة** (٥٥).
١١٠) **تفسير الكشاف** (٤/ ١٢٦٤).

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١- الأخفش، سعيد بن مسعدة: **معاني القرآن**، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٠م.

٢- أرمينكو، فرنسواز: **المقاربة التداولية**، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء العربي، بدون طبعة أو تاريخ.

٣- ألين، جراهام: **التناص**، ترجمة محمد الجندي، المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة المصرية، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٦م.

٤- الأندلسي، أبو حيان:

- **تذكرة النحاة**، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٦م.

- **تفسير البحر المحيط**، دراسة تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٣م.

٥- الأندلسي، ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٦- الأنصاري، ابن **هشام**: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق د. مازن المبارك وزميله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، عام ١٩٨٥م.

٧- أوستين، جون: **نظرية أفعال الكلام العامة**، ترجمة عبد القادر قنيني، منشورات أفريقيا الشرق، المغرب، طبعة عام ١٩٩١م.

٨- البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري الجامع الصحيح**، اعتنى به: د. محمد زهير ابن ناصر الناصر. دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٩- بوجراند، روبرت: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة د. تمام حسان، عالم الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٨م.

١٠- بيجه، جان: **البنيوية**، ترجمة عارف منيمنة وزميله، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الرابعة، عام ١٩٨٥م.

١١- الجرجاني، عبد القاهر:

- **درج الدرر في تفسير الآي والسور**، تحقيق طلعت صلاح الفرحان، وزميله. دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩م.

- **دلائل الإعجاز**، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة عام ٢٠٠٠م.

١٢- الجرجاني، محمد بن علي: **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تحقيق د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون طبعة أو تاريخ.

١٣- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٨م.

١٤- ابن الحاجب، أبو عمر: **أمالي ابن الحاجب**، دراسة وتحقيق فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، طبعة عام ١٩٨٩م.

١٥- حسان، تمام: **البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، طبعة عام ٢٠٠٣م.

١٦- الحلبي، السمين: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، بدون طبعة أو تاريخ.

١٧- الرازي، فخر الدين: **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٠هـ.

١٨- الزجاج، أبو إسحاق: **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨م.

١٩- الزركشي، بدر الدين: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٦م.

٢٠- الزمخشري، أبو القاسم عمر:

- **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣م.

- **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٣م.
٢١- السيوطي، جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٤م.
٢٢- ابن أبي طالب، مكي: **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٥هـ.
٢٣- الطعان، صبحي: **بنية النص الكبرى**، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد يوليو – ديسمبر، عام ١٩٩٥م.
٢٤- العبد، محمد: **النص والخطاب والاتصال**، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥م.
٢٥- العكبري، أبو البقاء: **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٩٨٧م.
٢٦- العلوي: ابن الأثير: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠م.
٢٧- فان دايك، تيون: **النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ترجمة عبد القادر قنيني، منشورات أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م.
٢٨- الفراء، أبو زكريا: **معاني القرآن**، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وزملائه، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، الطبعة الثانية، عام ١٩٨٠م.
٢٩- الفيروزآبادي، مجد الدين: **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٢م.
٣٠- الكرماني، محمود بن حمزة: **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان** ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، بدون تاريخ أو طبعة.
٣١- كوين، جون: **بناء لغة الشعر**، ترجمة د. أحمد درويش، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، عام ١٩٩٣م.
٣٢- ليونز، جون: **نظرية تشومسكي اللغوية**، ترجمة د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة عام ٢٠١٦م.

٣٣- المتوكل، أحمد: **الوظيفة بين الكلية والنمطية**، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣م.

٣٤- مصلوح، سعد: **نحو آجرومية للنص الشعري** دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان (١، ٢) عام ١٩٩٢م.

٣٥- النحاس، أبو جعفر:

- **إعراب القرآن**، اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٨م.

- **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشرة جامعة أم القرى- مكة المكرمة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ.

٣٦- هانيه من، فولفجانج وزميله: **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٩م.

٣٧- الواحدي، علي بن أحمد: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٥م.

* * *

الحمد لله في بدء ومختتم

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

Reference list

1- Al-Abd, Muhammad: **Text, Discourse, and Communication**, Modern Academy for University Books, Cairo, first edition, 2005 AD.

2- Al-Akhfash, Saeed bin Masada: **Meanings of the Qur’an**, edited by Dr. Hoda Mahmoud Qaraa, Al-Khanji Library, Cairo, first edition, 1990 AD.

3- Al-Alawi: Ibn al-Atheer: **The Proverb in the Literature of the Writer and Poet**, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, The Modern Library, Beirut, first edition, 1980 AD.

4 -Al-Andalusi, Abu Hayyan:

- **Grammarians’ Memory**, investigated by Dr. Afif Abdel Rahman, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, first edition, 1986 AD.

- **Interpretation of the Ocean Sea**, a study edited by Adel Ahmed Abdel Mawjoud and his colleagues, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1993 AD.

5- Al-Andalusi, Ibn Atiya: **The brief written in the interpretation of the Noble Book**, edited by Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1422 AH.

6- Al-Ansari, Ibn Hisham: **Mughni Al-Labib on the Books of Arabs**, edited by Dr. Mazen Al-Mubarak and his colleague, Dar Al-Fikr, Damascus, sixth edition, 1985 AD.

7- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail: **Sahih Al-Bukhari, Al-Jami’ Al-Sahih**, taken care of: Dr. Muhammad Zuhair Ibn Nasser Al-Nasser. Dar Touq Al-Najat, Beirut, first edition 1422 AH.

8- Al-Farra, Abu Zakaria: **Meanings of the Qur’an**, edited by Ahmed Youssef Al-Najati and his colleagues, Egyptian General Book Authority - Cairo, second edition, 1980 AD.

9- Al-Fayrouzabadi, Majd al-Din: **Tanweer al-Miqbas from Tafsir Ibn Abbas**, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1992 AD.

10- Al-Halabi, Al-Sameen: **Al-Durr Al-Masun in Sciences of the preserved book**, edited by Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus, Syria, no edition, or date.

11 -Al-Jurjani, Abdul Qaher:

-**Darj al-Durar in Interpretation of Verses and Surahs**, edited by Talaat Salah al-Farhan and his colleague. Dar Al-Fikr, Amman, Jordan, first edition, 2009 AD.

- **Evidence of the Miracle**, reading and commentary by Mahmoud Muhammad Shaker, Egyptian General Book Authority, Cairo, 2000 edition.

12- Al-Jurjani, Muhammad bin Ali: **Signs and Notes in the Science of Rhetoric**, edited by Dr. Abdel Qader Hussein, Dar Nahdet Misr, Cairo, no edition or date.

13- Al-Kirmani, Mahmoud bin Hamzah: **Al-Burhan in Guidan Al-Mushtahab Al-Qur'an, due to the argument and clarification it contains**, edited by Abdul Qadir Ahmed Atta, Dar Al-Fadila, Cairo, without date or edition.

14- Allen, Graham: **Intertextuality**, translated by Muhammad al-Jundi, National Center for Translation, Egyptian Ministry of Culture, first edition, 2006 AD.

15- Al-Mutawakkil, Ahmed: **Function between totality and stereotyping**, Dar Al-Aman, Rabat, Morocco, first edition, 2003 AD.

16 -Al-Nahhas, Abu Jaafar:

-**The parsing of the Qur'an**, taken care of by Sheikh Khaled Al-Ali, Dar Al-Ma'rifa, Beirut, Lebanon, second edition, 2008 AD.

- **Meanings of the Qur'an**, edited by: Muhammad Ali Al-Sabouni, Umm Al-Qura University Bulletin - Mecca, first edition, 1409 AH.

17- Al-Okbari, Abu Al-Baqa: **Al-Tibyan in the Parsing of the Qur'an**, edited by Ali Muhammad Al-Bajjawi, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon, second edition, 1987 AD.

18- Al-Razi, Fakhr al-Din: **Keys to the Unseen or the Great Interpretation**, Arab Heritage Revival House, Beirut, third edition, 1420 AH.

19- Al-Suyuti, Jalal al-Din: **Mastery in the Sciences of the Qur'an**, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Egyptian General Book Authority, Cairo, first edition, 1974 AD.

20- Al-Taan, Subhi: **The Great Structure of the Text**, Alam Al-Fikr Magazine, Kuwait, July-December issue, 1995 AD.

21- Al-Wahidi, Ali bin Ahmed: **Al-Wajeez fi Tafsir Al-Kitab Al-Mighty**, edited by: Safwan Adnan Daoudi, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya, Damascus, Beirut, first edition, 1995 AD.

22- Al-Zajjaj, Abu Ishaq: **Meanings of the Qur'an and its Parsing**, edited by Abdul Jalil Abdo Shalabi, World of Books, Beirut, first edition, 1988 AD.

23 - Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Omar:

- **Interpretation of Al-Kashshaf about the facts of the mysteries of revelation and the eyes of sayings in the manifestations of interpretation**, Arab Heritage Revival House, Beirut, Lebanon, first edition, 2003 AD.

- **Al-Mufassal in the Sanaat Parsing**, edited by Dr. Ali Bu Melhem, Al-Hilal Library, Beirut, first edition, 1993 AD.

24- Al-Zarkashi, Badr al-Din: **Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an**, edited by Abu al-Fadl al-Dumyati, Dar al-Hadith, Cairo, first edition, 2006 AD.

25- Armenco, Françoise: **The Pragmatic Approach**, translated by Saeed Alloush, Arab Development Center, no edition or date.

26- Austin, John: **The Theory of General Speech Acts**, translated by Abdelkader Qanini, East Africa Publications, Morocco, 1991 edition.

27- Beaugrand, Robert: **Text, Discourse, and Procedure**, translated by Dr. Tammam Hassan, The World of Thought, Cairo, first edition, 1998 AD.

28- Beige, Jean: **Structuralism,** translated by Arif Mneimneh and his colleague, Oweidat Publications, Beirut, Paris, fourth edition, 1985 AD.

29- Haniyeh Min, Wolfgang and his colleague: **An introduction to textual linguistics**, translated by Dr. Faleh bin Shabib Al-Ajmi, King Saud University Publications, Riyadh, first edition, 1999 AD.

30- Hassan, Tammam: **The statement in the masterpieces of the Qur'an, a linguistic and stylistic study of the Qur'anic text**, Egyptian General Book Authority, Cairo, 2003 edition.

31- Ibn Abi Talib, Makki: **The Problem of Parsing the Qur'an**, edited by Dr. Hatem Saleh Al-Damen, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, second edition, 1405 AH.

32- Ibn al-Hajib, Abu Omar: **Amali Ibn al-Hajib**, study and investigation by Fakhr Saleh Suleiman Qadara, Dar Ammar, Jordan, 1989 edition.

33- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman: **Al-Muhtasib fi Baydun fi Bayyin wahd al-Awwad al-Qira'at al-Qir'a and clarifying them**, edited by Muhammad Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1998 AD.

34- Lyons, John: **Chomsky's linguistic theory**, translated by Dr. Helmy Khalil, University Knowledge House, Alexandria, 2016 edition.

35- Maslouh, Saad: **A juristic grammar of the poetic text**, a study in a pre-Islamic poem, Fosul Magazine, Volume Ten, Issues (1, 2) in 1992 AD.

36- Quinn, John: **The structure of the poetry language**, translated by Dr. Ahmed Darwish, Dar Al-Maaref, Egypt, third edition, 1993 AD.

37- Van Dijk, Theon: **Text and Context: Investigation of Research into Semantic and Pragmatic Discourse**, translated by Abdelkader Qanini, East Africa Publications, Morocco, first edition, 2000 AD.

❋ ❋ ❋